8me Année No. 356

Lundi - 29 - 4 - 1940

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ربيع أول سنة ١٣٥٩ — الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــرس

١٤٠٤٦

ساعة مع الأستاذ الأكبر

كان مما لا بد منه لمن يكتب في الإصلاح الديني والأزهري أن يستضيء برأي الإمام الذي هيأه الله واختاره التوفيق لزعامة الثقافة الإسلامية في أشد العصور افتتاناً بالعلم وامتحاناً للعقيدة وهزاً للشعور واستعداداً للتطور

والأستاذ المراغي إذا قيلت كلمة الحق فيه إمام هذا العصر بإعداد من الله تجلى في فهمه الدقيق لرسالة دينه، وإدراكه الصحيح لحاجة عصره، وعلمه الراسخ بطبيعة قومه، وملكته السليمة في أدب لغته، وأفقه الرحيب لاقتران المشكلات الاجتماعية فيه تحت ضوء من الفكر الثاقب يبدد عنها ظلام الإشكال فترجع إلى طريقها الواضح من الدنيا أو الدين. وآية المصلح الديني في الإسلام علمه بأن رسالة الدين هي إصلاح الدنيا، وعمله لتوجيه الحكم والسياسة والاجتماع إلى الخطة التي رسمها الحق للحق في دستوره السماوي الخالد

***

دخلت على الإمام المراغي مكتبه العظيم الفخم في إدارة الأزهر منتصف الساعة الثانية، وكانت الأصوات والحركات قد خشعت في المكاتب والمسالك، فساعدتني الحال على الظفر بجلسة طويلة مع الإمام لم يقطعها عمل ولم يكدرها زائر

تلقانى شيخ الشيوخ بوجهه المنبسط وبشره الرزين، فسهّل علىّ أن أجد نفسى وأتسرّح فى حديثى وأراقب انعكاس الإشراق الروحى على ملامحه الناطقة فأفهمه من قرب . والمراغى إشعاع على محادثه عجيب ؛ وهذا الإشعاع دائم الانبثاق من عينيه وشفتيه فلا تنفك الشاعر منه فى غمر من الإعجاب والإجلال والحب مهما توثقت الألفة وزالت الكلفة وطال الحديث . وأشد تأثير المراغى على النفس القابلة ينبعث من سر نظرته وسحر بسمته ولهجة حديثه وحلاوة جرسه وفصاحة منطقه . أما توقد ذهنه ولطافة حسه ووزانة قوله ورصانة عقله وسراوة خلقه ؛ فتلك خصائص شخصيته وفضائل نبوغه

لا أستطيع أن أنقل إليك نص حديث تدفق وتشقق فى ساعة ونصف ، ولا أريد أن أقطع سرده بما سألت أو أجبت، فإن همك وهمى أن نسمع إلى الأستاذ . فأنا أروى لك خلاصة الجانب العام من الحديث على اطراد وتساوق لتصل إلى وجه الرأى من أخصر طريق

قال الأستاذ الإمام وقد تزاور عن مكتبه واتجه بكرسيه الدوار إلىّ :

لقد سرنى أن تتجه الرسالة إلى معالجة شؤون الأزهر ، فإن فى النقد الخالص من الهوى حثاً للهمم الوانية ، وتذكيراً للنفوس الغافلة ؛ ولكنى أحب أن يكون النقد على خلوصه رفيقاً ليطمئن إليه المنقود ويستفيد منه

أنا لا أسلم بأن الأزهر جامد على حاله القديمة ، وأرى أنه يتقدم مع الزمن تقدماً يتفق مع طبيعة أهله فى الأناة والروية . ولو قارنت بين حاله اليوم وبينها منذ أربعين سنة تجلى لك الفرق واضحاً لا غبار للشك عليه . ففى أيام طلبك بالأزهر قلما كنت تجد عالماً أو طالباً يكتب أو يخطب أو يؤلف أو يتصل بالحياة العامة ؛ أما اليوم فأنت ترى أكثر العلماء والطلاب يفكرون ويحررون ويحاضرون ويناظرون ويؤلفون فى فصاحة منطق وحسن صياغة وسلامة فكرة

أذكر وأنا مفتش بالأوقاف أنا اقترحنا على العلماء إنشاء طائفة من الخطب المنبرية فى الأغراض الاجتماعية المختلفة، فجاءنا أربعمائة خطبة لم نجد من بينها واحدة تستحق النظر . ولكنك اليوم تجد الخطباء فى المساجد والوعاظ فى المجالس ينشئون الخطب البليغة، أو يرتجلون العظات البالغة فيما تقتضيه الحال من المعانى العامة

على أنى أشعر بحاجة الأزهر الشديدة إلى الإصلاح . وأوافق الرسالة على أن الأمر يكاد ينحصر فى طريقة المعلم ووسيلة التعليم. وقد أخذنا بالفعل نعالج الإصلاح فى هذه الناحية، فضاعفنا العناية بطلاب التخصص لأنهم مناط أملى فى المستقبل وموضع ثقتى فى الإصلاح ، فأنا أتعهد تعليمهم وأتفقد أحوالهم وأشدد امتحانهم، حتى لم ينجح من ثلاثة وعشرين غير ثمانية . ومن هؤلاء أرسلنا وسنرسل البعوث إلى بلاد الغرب ليتصلوا بتيار الفكر الحديث ، ومكنا لمن لا يبعث منهم أن يتعلم لغة أوربية فى الكلية ليتسنى له بواسطتها أن يزيد فى ثقافته

أما مسألة الكتاب فإنى أوثر أخذ العلم من كتب الأئمة السابقين القادرين على صوغ العبارات العلمية فى أسلوب ناصع البيان ، ولكنى أوثر كذلك الإبقاء على طائفة من الكتب المؤلفة على المنهاج التقليدى من تحليل ألفاظ الجملة وتقليب وجوه الفكرة، فإن ذلك سبيل التعمق والاستقصاء والمران لمن عرف كيف يسلكه ويخرج منه . وفى اعتقادى أن غموض النص فى نفس التلميذ آتٍ من غموضه فى ذهن المعلم. فإذا استطاع الأستاذ أن يحلل عبارة النص فى الكتاب ويجلو غامضه من جهة ، وأن يجمع أشتات الرأى فى الموضوع ويمحص حقائقه من جهة أخرى ، تيسر له بعد ذلك أن يلقيه على الطلاب فى محاضرة متناسقة الفكر متساوقة الأجزاء محكمة الصياغة ، ومن مجموع هذه المحاضرات فى العلم الواحد يتألف الكتاب الذى تريده

على أن الكتاب يتضاءل شأنه كلما سمت قدره المعلم، فإنك تذكر أن أستاذنا الإمام رضوان الله عليه كان لا يحمل فى يده وهو يفسر كتاب الله غير (الجلالين) ، ومع ذلك كان يستبطن بفكره النفاذ أسرار الآى ثم يكشفها للناس فى معرض من البيان المشرق

وفى الكليات طائفة من المعلمين القادرين يستطيعون أن ينهضوا بالتعليم الأزهرى نهضة صادقة . وملاك ذلك أن يقفوا حياتهم على العلم، ويقصروا جهودهم على التعليم، وأن يتصلوا بأبنائهم اتصالاً روحياً ليغرسوا فيهم حب العلم فيطلبوه لذاته ولذته

كان أشياخنا يقولون : « أعط العلم كلك يعطك بعضه » وكان منهم من لا ينقطع عن التدريس حتى فى المرض ، ولا يذوق

حديث الأسكندرية ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

« فى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى أقامت جمعية الشبان المسيحية فى الأسكندرية احتفالاً سمته « عيد الورد » ، ودعت إليه جماعة من أدباء القاهرة ، وفيما يلى خطبة الدكتور زكي مبارك فى ذلك الاحتفال »

فى هذا المساء أيها السادة يحتفل المسلمون بعيد المولد النبوى ، وتحتفلون بعيدالورد، فالمسلمون يحتفلون بعيدالحق، وأنتم تحتفلون بعيد الجمال ، والصلةُ وثيقةٌ جدًّا بين الحق والجمال

أما بعد ، فقد اقترح صديقٌ عزيز أن تكون خطبتى عن الإسكندرية حديثاً ذا شجون ، فما الذى ينتظر ذلك الصديق من تلك الشجون ؟

أيكون لاحظَ أننى كثير الحديث عن الإسكندرية ، وأن هواى بها وصل إلى حدّ الافتضاح ؟

هو ذلك ، ولكن هل يعرف لأى سبب تزداد شراهتى فى انتهاب مفاتن الإسكندرية كلما سنحت الفرص فى الصيف أو فى الشتاء ؟

السبب يرجع إلى أنى دخلت الإسكندرية أول مرة وأنا حزين: دخلتها فى قَفص ، دخلتها فى سيارة مقفلة من سيارات السلطة العسكرية فى أيام الثورة المصرية . دخلتها فى الظلام ، فلم أر من جمالها غير أطياف ، ثم نقلنى ذلك « السجن المتحرك » إلى مقرّ الاعتقال فى ضاحية نائية، هى اليوم ملاعب صبابة ومدارج فتون. ومن يصدّق أن ضاحية (سيدى بشر) كانت معتقَلاً يُسجن فيه من هتفوا باسم الحرية والاستقلال ؟

قضيت فى هذه المدينة شهوراً طوالاً بدون أن أشهد من جمالها غير ما يطوف بالأوهام والظنون . ولن أنسى أبداً كيف كان هدير البحر يقرع سمى وقلبى فى غفوات الليل . ولن أنسى كيف فرحت يوم خرجت من المعتقَل لأرى الأسكندرية بعينىّ ، ولأطوّف فى رحابها حيث أشاء بلا حارس ولا رقيب ، ولأقول

طعم الراحة حتى فى العطلة ، ولا يرى (أخذ الدرجة) صارفا عن التحصيل ، ولا منصب القضاء عائقا عن الأزهر

قال لى الإمام محمد عبده وقد زرته بعد نجاحى فى (العالمية) بثلاثة أيام : أتستطيع أن تعرّف العلم ؟ فأجبته بلهجة الواثق المطمئن : نعم . وأخذت أسوق إليه ما أعرف من التعريفات المختلفة ، ولكنه زيفها جميعاً وقال : العلم ما نفَعك ونفع الناس . فهل ما عندك منه ينطبق عليه هذا التعريف ؟ فقلت له : لا . قال: إذن لا تملك من العلم الصحيح شيئاً. إنما هيأتْ لك دراستك وشهادتك السلم ، وعليك وحدك بعد ذلك أن تصعد

إن الذى يظهر الأزهر فى هذا المظهر الجامد يرجع بعضه إلى إخلاد القادرين إلى الراحة ، وبعضه إلى مجافاة أسلوب العصر مع حسن الاستعداد وتوفر وسائل الاجتهاد وموآتاة أسباب النهضة . أليس من العجيب أن تكون عُدد الاجتهاد التشريعى عندنا أكثر منها عند مالك ، وذرائع الابتكار الأدبى فى عصرنا أوفر منها فى عصر الجاحظ ، ثم لا نجد فينا فقيهاً يجتهد بعض اجتهاد صاحب الموطأ ، ولا أديباً يؤلف بعض ما ألف صاحب الحيوان ؟ لقد كان مالك لا يملك من ثروة الحديث النبوى غير ما صحت له روايته منه ، وكان الجاحظ لا يجد من مصادر الأدب العربى غير ما وقع له من السماع فيه ، ومع ذلك صار لمالك مذهب متبع فى الفقه ، وانتشر للجاحظ مذهب معروف فى الأدب . أما نحن فبين أيدينا كل ما ورد عن الرسول من الأحاديث ، وما روى عن الأئمة من الأحكام ، وما أثر عن الفقهاء من الكتب ؛ وفى خزائننا كل ما خلف العرب وغير العرب من لباب الأدب وعصارة الفكر ، ومع هذا اليسر فى الوسائل وهذه القوة فى الاستعداد لا ترى إلا فراغاً يثير الظنون ويغرى بالأزهر التهم

إن العلماء إذا استناروا بسيرة السلف فى الإخلاص للعلم والانقطاع إلى التعليم يستطيعون أن يصلحوا فساد الطريقة ويكملوا نقص الكتاب ويصلوا بالأزهر إلى الغاية التى نرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

* * *

وحينئذ كانت الساعة الثالثة ، فلم أر من اللائق أن أعوق الإمام عن غدائه أكثر مما عقت ، فاستأذنت وانصرفت وأنا موزع القلب بين الإعجاب بالمحدث والاغتباط بالحديث

أحمد حسن الزيات

لنفسى : إن شهور الاعتقال قد ذهبت إلى غير مَعاد ...

هذا هو السبب فى هيامى بالأسكندرية، ولن أشبع منها أبداً. فجنونى بها هو انتقامٌ من الزمن الجائر الذى قضى بأن أراها أول مرة فى ظروف أفظع وأشنع من أعمار الأحزان

أحب أن أفرح فى الإسكندرية . أحب أن أرى فيها أيام نعيم بعد أن رأيت فيها شهور بؤس . أحب أن أراها وترانى فى بشاشة وأريحية وصفاء . تغذى ترماى إلى حيث تشائين ، يا مهد الشهامة والنضارة والجمال

لك قلبى ، يا اسكندرية ، فامنحينى من العطف ما أنسى به تلك الأيام السود ، أيام الاعتقال . واصفحى عنى ، يا اسكندرية ، إن افتضحت فى هواك ، فما يكون تلاقينا إلا بَلْسماً لجرح عميق تمتادنى آلامه من حين إلى حين ...

أيها السادة

لمدينتنا هذه تاريخ وتواريخ

فيها وقعت أعظم فاجعة غرامية ، وهى فاجعة صيرت الحب شريعةً من الشرائع . ألم يكف أن يصل اسم كليوباترة إلى جميع البلاد وأن تؤلف فيه المئات من الأقاصيص ؟

ومدينتنا هذه هى التى حفظت ذخائر الفلسفة اليونانية بعد غفوة العقل اليونانى

ومدينتنا هذه هى التى عرفت الاستشهاد فى سبيل المسيحية أعوامَ اضطهاد المسيحية

ومدينتنا هــذه هى التى استقبلت طلائع الجيش الإسلامى وجعلت للاسلام دولة على شاطىء المحيط ، وقد كان بحرنا هذا أول بحر خفقت فوقه الراية الإسلامية ، وسيظل إلى الأبد صلة الوصل بين حضارة الإســلام فى الشرق وحضارة النصرانية فى الغرب ، ولن تكون شواطئه الشرقية إلا بأيدينا مهما بغى الاستعمار واستطال

ومدينتنا هذه هى التى خلّدت اسم من نسبتْ إليه . وما بناها الإسكندر كما يتوهم الجاهلون ، وإنما بنى حيًّا من أحيائها ، وسيأتى يوم لا يُعرف فيه مَن الإسكندر إلا بوصل اسمه الفانى بهذه المدينة الباقية على الزمان

وقد سميت باسم الأسكندرية مدن كثيرة فى المشرق والمغرب ، ولكنها ذهبت جميعاً ، ولم يبق غير مدينتنا هذه لأنها مصرية ، ومصر عريقةٌ فى الخلود

أيها السادة

كتب أحد أدبائكم يقول إن الأسكندرية تقتل الروح الأدبى ، وهو أديب لا أسميه لئلا أعرّض سمعته للايذاء ، فهل ترونه على حق ؟

اسمعوا ثم اسمعوا

فى مدينتنا هذه خُلقت المعارضة السياسية بطريقة صريحة لأول مرة بعد الثورة المصرية . وفى مدينتنا هذه وجد الناس من الشجاعة ما يقاومون به سعد زغلول وكان اسمه قد ملأ جميع الأرجاء

وما يهمنى أن أقول إن تلك المعارضة كانت بحق أو بغير حق ، فلذلك حديث غير هذا الحديث ، وإنما يهمنى أن أقول إن أول معارضة ثارت فى مصر بطريقة صريحة كانت المعارضة الموجّهة إلى مشروع ملنر ، وتلك المعارضة لم ترفع رأسها إلا فى الأسكندرية بجريدتين سيذكرهما التاريخ وهما جريدة « الأمة » وجريدة « الأهالى »

فكيف جاز أن يسيطر سعد زغلول على سائر المدن المصرية ولا يجد مقاومة فى غير هذه المدينة ؟

لا تتهمونى بالعصبية للحزب الوطنى ، فأنا فى نفسى أعظم من كل عصبية وإن اعتمدتُ على الحق ، وإنما يهمنى أن أسجل محامد مدينتنا هذه فأقول إن سكانها الوطنيين يرجعون فى الأغلب إلى عنصرين اثنين : العنصر الوافد عليها من الصعيد وهو عنصر معروف بالعناد ، والعنصر الوافد عليها من المغرب بعد سقوط الأندلس فى أيدى الأسبان وهو عنصر معروف بقوة المِراس ، ومن أجل هذا ترون الاسكندريين الوطنيين قوماً غلاظ الأكباد يغضبون بسرعة ويستوحشون من الدخلاء كأهل المغرب وأهل الصعيد ، أما سكان الإسكندرية من أهل الوجه البحرى فهم أقلية ، وهم مصدر اللطف الذى نلمحه فى الأسكندرية من وقت إلى وقت فى غيبة الغضب واللجاجة والعناد

وهنا يسمح المقام بتسجيل خاطر غريب

فى هذه المدينة الثائرة بالفطرة وبوحى البحر نرى شواهد من النظام لا نجده فى أية مدينة مصرية

فى هذه المدينة وُضعت قواعد النظام للمعاهد الدينية ، فأول معهد دينىّ نظامىّ هو المعهد الاسكندرىّ ، وقد أشرف عليه

رجل صعيدىّ حادّ الطبع ، ولكنه فى روحه مفطور على النظام هو أستاذنا الجليل المرحوم الشيخ محمد شاكر الذى كان يرضى ويغضب فى لحظات ، والذى كان يمثل قلق الإسكندرية ، وحمية الصعيد ، وسكينة القاهرة ، ومن الأسكندرية نُقل النظام إلى سائر المعاهد الدينية ، وهو نظامٌ ثار عليه الأزهر ثورة عنيفة لن أنساها ما حييتُ لأنها عطلتنى من الدرس أسابيع وأسابيع قبل أن تولد عرائس هذا الحفل البديع

والمعهدُ الاسكندرىُّ منسىٌّ فى هذه الأيام ، ولكن الذين عاشوا قبل الحرب الماضية يذكرون كيف استطاع أستاذنا الشيخ عبد المجيد اللبان أن يقيم به زعامة دينية يصل روحها إلى أكثر المدن المصرية

وإن كُشِف غطاء التاريخ فستعرفون أن الشيخ اللبان كانت له يد فى تأريث الثورة المصرية ، فهو الذى جمع بين أعضاء الحزب الوطنى وبين حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، ومن تلك الحركة تهيأ الجوّ لحركات شهدتها سنة ١٩١٨ ثم استفحلت فى سنة ١٩١٩ ثم كان ما كان إلى أن شهدتم سقوط الحماية وإعلان الاستقلال

فما معنى هذا؟ معناه أن الإسكندرية التى ألقى فيها مصطفى كامل أعظم خطبة وطنية هى الإسكندرية التى سبقت إلى الثورة على الأحكام العرفية فى أعقاب الحرب الماضية والتى سنّتْ لأهل مصر شريعة النضال فى سبيل الاستقلال

وهل سمعتم بحديث الدكتور محجوب ثابت ؟

بفضل الإسكندرية جاز أن يكون فى مصر نائب عن العمال ، وهذا شيء غريب فى بلادنا ولم يقع أول مرة إلا فى الأسكندرية . وله مدلول يشهد بأن مدينتنا هذه مدينة أصيلة فى قوة الشخصية . ألم يكف أنها تحتفل الليلة بالمولد النبوى احتفالاً أفخم وأعظم من جميع الاحتفالات بسائر المدن المصرية ؟ ألم يكف أنها أول مدينة فى الشرق بعد القاهرة مع أن القاهرة تملك من السحر ما تعجز عنه جميع المدائن فى الشرق ؟

أيها السادة :

إن الحديث ذو شجون ، فهل سمعتم أن الإسكندرية تسيطر فى هذه الأيام على وزارة المعارف ؟

قيل إن النقراشى اسكندرىُّ المولد . وقيل إن السنهورى اسكندرى المولد . وقيل إن شفيق غربال اسكندرى المولد ، فهل هذا صحيح؟ إن صحّ هذا فانتظروا منى ثورة تزلزل رواسى الجبال، فما يرضينى أن يكون لمدينتكم كل هذا السلطان ؟

ولكن ما الموجب للثورة وأنا أعرف مقاتل هؤلاء الرجال ؟ فالنقراشى العنيد اسكندرانى تأسره قوة المنطق ، والسنهورى أضعف الضعفاء أمام القانون ، وشفيق غربال يعجز كل العجز عن مقاومة الحق

وأرجوكم باسم الذوق ألاّ تظنوا أننى أجامل رؤسائى ، فما خُلقت للمجاملات ، وإنما أدلكم على مقاتل هؤلاء الرجال ، وهذا ينفعكم أجزل النفع ، يوم يبدو لأحدكم أن يستفيد من قوة الحق والمنطق والقانون

ومدينتنا هذه التي وضعت قواعد النظام للتعليم الدينى هى أول مدينة بعد القاهرة تقوم فيها جامعةٌ مَدَنيّة فى العصر الحديث فكان لها فضل السبق على المنصورة وأسيوط ، مع الاعتراف برشاقة المنصورة ورزانة أسيوط

ولأول مرة فى تاريخ مصر مُحرّم الوزراء بَدَلَ السفر حين ينتقلون لشأن من الشؤون ، وما حُرّم ذلك إلا بالنسبة إلى الاسكندرية ، فهل كان ذلك لأن الاسكندرية تستهوى الوزراء فتحملهم على تكلف أسباب الانتقال ؟ لا ، إنما كان ذلك التحريم لأن الإقامة فى الاسكندرية غنيمة من الغنائم ، ومن واجب الدولة أن تمنّ على الوزير بأن مصالحها هيأت له الفرصة للإقامة يوماً أو يومين بالبلد الذى يَفتِن فى الصيف ويَشُوق فى الشتاء

ومع أن الاسكندرية سبقت القاهرة إلى البلاء بقسوة اشتباك المنافع مع الأجانب فقد صحّ للاسكندرية أن تسبق القاهرة إلى استخلاص بعض المنافع من الأجانب ، فأول «ترام» سيطرت عليه الحكومة هو ترام الاسكندرية ، وفى ذلك ما فيه من قوة الشخصية

والاسكندرية تفوق القاهرة فى أشياء

فالوافد على الاسكندرية من الجنوب تلقاه المنازل البيض الخفيفة الروح ، وتلقاه نخلاتٌ بواسق تأنس برؤيتها العيون ، أما الوافد على القاهرة من الشمال فتلقاه منازل مهدّمة تقبض النفس ، فمتى تفطن حكومتنا إلى هذه الظاهرة ؟ ومتى تمدّ يدها لرفع تلك الخرائب وتحويلها إلى حدائق ورياض ليشمر الوافد

على القاهرة بأنه «مقبل» على مدينة تفهم قيمة الجمال ؟

آن للقاهرة أن تعرف أنها تسيء إلى سمعة مصر بالعفو عن تلك الخرائب التي تواجه من يقدَم عليها من الشمال . آن للقاهرة أن تعرف أنه لا يجوز أن تلقى القادمين بغير الابتسام ، وتلك الخرائب الشبراوية تدخل على أرواح القادمين أثقالاً من الانقباض البغيض

أتذكرون المحطة القديمة ، محطة الاسكندرية ؟

لقد كان الداخل إليها يشعر بأنه يفد على أطلال ، وقد عزّ ذلك على الملك فؤاد رحمه الله فأشار بأن يكون للاسكندرية محطة تناسب ماضيها الجليل وحاضرها الجميل

ومحطة القاهرة هي رابع محطة في العالم من حيث الفخامة والرونق ، فكيف يجوز أن ندخل إلى القاهرة في مضايق محفوفة بمنازل محرومة من نضرة النعيم ؟

يجب أن تسارع الحكومة إلى تجميل مدخل القاهرة ، فمن العيب أن تكون لها تلك الحواشي المطرّزة بأكواخ البائسين

ويوم يتمّ ذلك أستطيع أن أتحدث في موضوع جديد هو تغيير الشاطئ الذي تدخل فيه البواخر إلى « عروس الماء »

فالشاطئ الذي يستقبل البواخر مطرّز بحواش يُقذي مرآها العيون . ويجب تغييره أو تجميله في أقرب فرصة ، فما يجوز أن يكون أول ما يقع عليه البصر عند دخول الإسكندرية شوارع ضيقة ومنازل دميمة وحوانيت ترجع في تكوينها إلى ما قبل التاريخ

الجمال ، الجمال ، الجمال !!!

ليس الحديث عن الجمال هزلاً ، وإنما هو جِدٌّ صُراح ، والأمم التي لا تقدِّر الجمال لا تستحق نعمة الوجود

فهل خطر في بال من يثورون على التبرج في شواطئ الاستحمام أن من واجبهم أن يثوروا على الدمامة في مراسي السفائن ؟

وهل فيهم من حدثته النفس بأن ينظر في البقعة الموحشة التي تستقبل الوافدين من روما ولندن وباريس وبرلين ؟

أين المحافظ وأين مدير البلدية وإليهما يتوجه من يتألمون من التبرج في الشواطئ ؟!

هل عند هذين الرجلين علمٌ بما نعانيه حين ندخل مدينتنا هذه بعد قضاء شهور أو أعوام في ديار الغرب ، الغرب الذي يرى الزينة مطلوبة في جميع المواطن وجميع الأشياء ؟

قلتُ في الدعوة إلى « عيد الورد » إن الاسكندرية لها حقٌّ على الجميع . فمن حق عليكم وعليها أن تسمعوا وتسمع هذا القول

وأنا أدعو إلى تغيير أو تجميل موقع الميناء ، فأين من يسمع وأين من يجيب ؟

الحديث ذو شجون ، أليس كذلك ؟ فما الذي يمنع من القول بأن مدينتكم أخلفت الظن بها كل الإخلاف ؟

هل تصدقون أن مدينتكم هذه كان لها صوت صحفي مسموع في أيام مصطفى كامل وأيام سعد زغلول ؟ فأين صوتها اليوم وهي صدى لأصوات القاهرة ؟

أنا أعرف أن الساعة الثامنة صباحاً والساعة السابعة مساء موعدان لقدوم الجرائد والمجلات وأحسُّ لوعة الشوق إلى هاتين الساعتين لأنهما موعد اتصال الاسكندرية بالقاهرة ، ولكني أتوجع كلما تذكرت أن الحكومة المصرية التي تعسكر بالاسكندرية في الصيف لا تسمع صدى أصواتها إلا بفضل جرائد القاهرة ، فمتى يستيقظ النائمون من أهل هذا الثغر الجميل ؟

أيها السادة

أترك حديث المؤاخذات إلى حين، وألتفت إلى حديث القلب

فأقول : سيأتي يوم قريب يجتمع فيه زعماء مصر حول شواطئ بحر العرب الذي سُمّي خطأً بحر الروم ، وسيقام في الاسكندرية مؤتمر يؤلف بين أهواء الرجال ويغسل الضغائن ويدفن الحقود

ويومئذ نقيم « عيد الورد » وفي ليلة الاحتفال بعيد « المولد النبوي »

ويومئذ نطمئن إلى أن بحرنا يسمى « البحر الأبيض المتوسط » لأنه جمع بين بياض القلوب ، وتوسَّط في جمع أهواء النفوس

ويومئذ ننسى أن الهيام بشواطئ الإسكندرية يجرح رجال الدين ، لأننا سنكون يومئذ ملائكة رفع الله عنهم إصر التكليف

المستقبل لنا ، بإذن الله صاحب العزة والجبروت

وهذا البحر لنا ، بإذن فاطر الصباحة والملاحة والجمال

ومصر لنا ، بفضل سواعدنا وعزائمنا وقلوبنا

فمن أراد بنا السوء فلينتظر غضبات الأسود عند جياع الأشبال .

نحن حفظنا مصر للعروبة والإسلام ثلاثة عشر قرناً ، وسنحفظ لأبنائنا وأحفادنا وأسباطنا هذا التراث الغالي .

والله مع المجاهدين .

زكي مبارك

في سبيل الأزهر

اعتراف ورجاء

للأستاذ محمد محمد المدني
المدرس بكلية الشريعة

كتب الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء، سلسلة من مقالاته القوية الممتعة في الأزهر وما يتصل بالأزهر من فقه ودراسة وخلق

وقد أثارت هذه المقالات في نفسي باعتباري مسلماً ، وعالماً ، ومدرساً في الأزهر، عاملين مختلفين: أحدهما عامل الأسف والحزن والخجل من هذا السيل المتدفق الذي ينصب على رأس الأزهر في الحين بعد الحين ، بل مع كل مطلع شمس ومغربها ، حتى أصبحنا لا نقرأ مقالاً ، ولا نستمع إلى حديث ، ولا نتصفح كتاباً إلا رأينا فيه لوناً من ألوان النقد العنيف موجهاً إلى الأزهر في جموده وخموله ، وركود الحياة العلمية فيه ، وقصوره عن مجاراة الزمن ، ومسايرة الحضارة العلمية التي رجت العالم ، وتغلغلت في كل نواحي الحياة !

أما العامل الثاني فهو عامل الأمل والرجاء، في أن هذه العلل ما دامت غير مستحكمة ولا متأبية على الإصلاح ، فهي قابلة للشفاء، وأن هذه الوخزات ما دام يحس بها أبناء الأزهر فهي دليل على الحياة فيه ، وهي لا بد ستوقظه من سباته العميق ، وستحمله على أن ينفض عن نفسه غبار هذا الكسل ، وينخلع من هذا الثوب البالي الذي جلله بالعار ، ودثره بالصغار ، وسامه الذل والهوان !

لقد ساءلت نفسي : أحقاً أن في الأزهر كل هذه العيوب التي يرميه الناس بها ، أم أنهم يتجنون عليه ويتندرون على حسابه؟

وسرعان ما أجبت عن هذا التساؤل ، فاعترفت بكثير من هذه العيوب ، وعذرت الذين يلومون :

في الأزهر من غير شك نواحي نقص عظيمة ، ويجب أن نكون صرحاء إلى أبعد حدود الصراحة . وإذا جاز لكاتب مهذب كالأستاذ الزيات أن يجامل الأزهر ، فلا يذكر كل ما يعرفه من عيوبه ، حين يتناوله بالنقد ، فإن ذلك لا يجوز لأزهري يصطلى ليله ونهاره هذه النار المحرقة التي لا مناص له من اصطلائها بحكم عمله وطبيعة اتصاله ببيئته

لقد تدبرت هذه النواحي التي من أجلها يلام الأزهر ومن قِبَلها يؤتى ، فوجدت أهمها عقيدة الأزهر في نفسه ، وأسلوب الدراسة فيه .

فالأزهر ما زال — على الرغم من بزوغ شمس الإمام المراغي في أرجائه — يدير حركته الفكرية على نحو من التعصب الجامد لكل ما يعلم ، والرفض الجامد لكل ما يجهل . وما زال فيه من يقول : كفر فلان، وألحد فلان، وتزندق فلان ، لأنه أخذ برأي غير مألوف ، أو خالف شيئاً قال به إمام من الأئمة السابقين ! وليس هذا التكفير والحكم بالفسق والزندقة شيئاً يرمى به غير الأزهريين فحسب ، ولكن للأزهريين منه نصيباً غير قليل !

وإنك لترى غباراً يتطاير وشرراً يلمع ، وتسمع دوياً يملأ أذنيك وضجة تدور من حولك ، فتقول لنفسك هذه معركة علمية قد احتدمت ، ولا بد أن تنجلي عن حقيقة يحسن السكوت عليها كما يقولون ، أو عن فكرة إصلاحية تفيد منها الأمة فائدة تحفظها لرجال الأزهر

ويصدق ظنك من بعض نواحيه ، فإذا هو عراك ولكن في غير معترك ، وشجار ولكن في غير مشتجر ، ثم تنجلي هذه المعركة كما بدأت ، فلا الحقيقة العلمية وصلت إليها ، ولا الأمة أفادت ما كان ينبغي أن تفيد ؛ بل قل إنها تنجلي عن حالة هي أسوأ مما بدأت . فإذا كانت المعارك الحقيقية تسفر في كثير من الأحيان عن كذا من القتلى ، وكذا من الجرحى ؛ فإن معاركنا الأزهرية تسفر كذلك عن كذا من الكفرة، وكذا من الفسقة، وكذا من الجهلة ... الخ

لست مبالغاً ، أيها القارئ ، وإنها للحقيقة المرة

لقد قال بعض العلماء رأياً في « الشيطان » في حديث له أذاعه بالراديو ، خلاصته : أن « الشيطان » قد ورد ذكره في القرآن على أساليب شتى ، وأن المعنى المشترك في كل الآيات التي عرضت للشيطان ، أنه قوة الشر وعنصر الفساد في هذا الوجود

هذا الرأي الذي يدل على تفكير ناضج وعقل رشيد ، ويلتئم مع أحدث الآراء العلمية الصحيحة ، ولا يعارض في نفس الوقت شيئاً صريحاً من الدين — لا يمر كما يمر سائر الكلام ، ولكن يوقف عنده ، لا ليشكر صاحبه على توفيقه بين نصوص الدين

وآراء العلم ، ولكن ليُتهم بمخالفة النصوص ، وإنكار ما في القرآن ، والخروج على الأحاديث !

ولولا أن صاحب الرأي رجل قوي ، محترم الرأي ، مرموق المكانة ، لا يؤكل لحمه ، لترددتْ في هذا المجال كلمات الإلحاد ، والفسوق ، والزندقة ، والمروق ، ولكن الله سلم !

على رسلكم أيها السادة ! لماذا تفرضون دائماً في كل من يخالفكم في الرأي أنه سيئ النية ، متهم الغرض ؟ ولماذا تفرضون دائماً في أنفسكم أنكم قد وصلتم في كل ما زعمتم إلى الحق ، فتدخلون في كل بحث وكل نقاش على هذا الأساس ومع استحضار هذه الفكرة

وعمن أخذتم هذه الطريقة ؟ أعن كتاب الله ، وهو الذي يعظم شأن البرهان ويحكم العقل في كل شيء حتى في الإيمان بالله وينعى عن التنابز بالألقاب ؟

أم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان المثل الأعلى في حلمه وسعة صدره وصبره على الحوار والجدال ؟ ألم يكن الأعرابي الجلف يأتيه فيناديه باسمه المجرد ، ويغلظ له في القول ، ويعنف عليه في السؤال ، فلا يفسد ذلك من حلمه ، ولا يوهن من صبره ؟

فإذا لم تكونوا قد أخذتم هذه الطريقة عن الله ورسوله فممن أخذتموها ؟ أعن علماء السلف ورجال المذاهب الأولين الذين كانوا يتناقشون ويتحاورون ويرجع بعضهم إلى رأي بعض ، ويخالف بعضهم بعضاً ، فلا يدفعهم ذلك الخلاف إلى تجريح أو تكفير ؟

أم أخذتموها من كتب البحث والمناظرة التي قتلتموها بحثاً وأفهمتموها شرحاً ، ولست أذكر أن فيما رسمت من أساليب الحوار سوى التدليل ودفع البرهان بالبرهان ومنع المقدمات .. الخ وليس فيها الوصف بالخروج على الآيات وإنكار الأحاديث !

هذا معنى في الأزهر ما زال موجوداً ، وهو موجود على أشده في بيئة أزهرية معينة يعرفها الأزهريون ولها صلة وثيقة بالجمهور !

فإذا رجعت إلى أسلوب الدراسة والكتب المقررة وجدت العجب العجاب . وكلمة (العجب العجاب) هذه كانت تقال في زمن عبد القاهر الجرجاني وأبي هلال والشاطبي وغيرهم . كانوا يقولونها في تقدم لآراء مخالفيهم ؛ أما في عصرنا الحاضر ، حيث النظريات الصحيحة الثابتة في شتى نواحي العلوم ، وحيث السرعة والحرص على الزمن ، فإني أرى كلمة « العجب العجاب » غير كافية للتعبير عما أقصد . وأعترف بالعجز عن اختيار لفظ مناسب يوصف به هذا التسكع العلمي الذي نسميه دراسة ، مع أن الدراسة دائماً تنتج الوضوح وحل المشكلات ، وهذا التسكع يقوم دائماً على التعقيد وخلق المشكلات !

لو أردت أن أضرب أمثلة كثيرة لهذا النوع من الدراسة ، لأتيت بالكثير ولوجد فيه قراء الرسالة طُرفا لا تدور لهم بخلد ، ولا تخطر لهم على بال ، ولكني أكتفي الآن — والآن فقط — بأن أصف ما كان لذلك من أثر تحس به مناهج الدراسة !

ما زال علماء بعض الكليات يقرأون في المنطق من أول العام إلى اليوم ، « وأرجو أن يلاحظ القراء أنه لم يبق من العام الدراسي إلا أيام معدودات » ، فلم يخرجوا بعد عن مقدمات هذا العلم ، ولم يصلوا إلى بحث من صميم أبحاثه !

وما زال الذين يدرسون علم الأصول من أول العام يتحدثون عن أدلة التشريع . أستغفر الله ، بل يسردون أدلة التشريع التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فأين هم اليوم ؟ إنهم لم يتجاوزوا تعريف الكتاب تعريفاً فنياً إلا منذ عهد قريب ، ومضى العام في معرفة ما هو علم الأصول ، وما منزلته بين العلوم ، وما غرضه ، الخ . بل ليس في هذه الموضوعات خالصة ، فإن فيها على كل حال بحثاً علمياً مفيداً ، ولكن في العبارات التي عبر بها المؤلف عن هذه المسائل ، وفيما نقده من هذه العبارات شراح الكتاب وحواشي الكتاب ! فأي ضياع هذا الضياع ؟ وعلى حساب من ؟

لماذا نحتفظ بأمثال هذه الكتب ، ونحرص عليها ، وفيها هذا الإرهاق وهذا البطء ؟ ولماذا نلزم بها أنفسنا وأبناءنا ؟ ألأنها أثرية ؟ فأقيموا معهداً للدراسات الأثرية إن كنتم حريصين على الدراسات الأثرية إلى هذا الحد

هذه بعض العيوب التي يحس بها الأزهريون الناهضون أنفسهم قبل أن يحس بها الناس لهم . وفي الأزهر شباب ناهضون مستعدون للانتاج والعمل ، شباب أحسن الأستاذ الزيات في تسميتهم « شباب المراغي » لأن الأستاذ الإمام هو قائدهم الروحي ، ليس في الإدارة فقط ، ولكن في العلم والخلق والإصلاح

ولقد وجد فيه الأزهر الحديث ضالته المنشودة ، فهو أول

شيخ للأزهر لا يتعصب على الثقافة الحديثة . وهو أول شيخ للأزهر اشترك اشتراكا عملياً فى التشريع لخير البلاد . وهو واضع قانون الطلاق ومذكرته التى هى المثل الكامل للفقيه الذى تتطلع إليه آمالنا . وهو الذى اشترك اشتراكا فعلياً فى إلقاء الدروس على طلبة كلية الشريعة ، لتكون مثالاً يحتذى ، ويمضى على سنته المدرسون

وهو فى كل هذا وبعد كل هذا القدوة الحسنة لعلماء الأزهر وشباب الأزهر فى تفكيره ، وخلقه ، وعلو همته ، وسمو أغراضه

فما دام الأستاذ الأكبر المراغى يقود الأزهر ، وما دام « شباب المراغى » مؤمنين بروحه ، مقتفين لآثاره ، فإن فى الأزهر حياة ، وفى إصلاحه أملاً إن شاء الله

وليستبشر الأستاذ الزيات ، فإن صرخته قد وجدت صداها ، ولن تضيع !

محمد محمد المدنى

خواطر يثيرها سائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

عودة إلى قيمة الانسان — نظرية النشوء والترقى — سعى الانسان للخلود — الانقلاب الاسلامى — إنقلاب القرن السابع عشر — لماذا التشاؤم ؟ — دين الله بغير عنوان — بعض أسباب الالحاد — شباب رجال الدين — وحدة التعليم الدينى والمدنى — جنايات الجمود فى مصر اسماعيل

لما كتبت كلمتى الأولى تحت هذا العنوان آثرت أن أبدأ الحديث فيها بدفاع سلبى عن الفكرة الدينية ، وطلبت من حضرة السائل « البيروتى » أن يوازن بين حياة الإيمان وحياة الجحود كفرضين عقليين ، وهو مجرد من أى تأثر نحو أحدهما ، ولم أتعرض للبحث الإيجابى فى الأصول الأولى للدين — وهى : الإلهية ، والنبوة ، ومصير الإنسان إلى حياة أخرى — وإنما أحلت السائل — ويلوح لى من كتابته إلى أنه من الدارسين للدين والفلسفة والتصوف والعلوم — إلى فكره هو أولاً ، وإلى المقالات الإيجابية التى سبقت لى عن الإيمان ، ثم بسطت الحديث فى قيمة الإنسان ، لأنها فى رأيى أساس الاعتراف بكل حقائق الدين والعلم والفلسفة .

وكنت أرجو أن تكون قراءة أمثال هذه البحوث ، قراءة غير سطحية ، حتى يتفطن القارئ لجميع حلقاتها ، ويخلص إليه منها نتائج واضحة محدودة ، ولكن — مع الأسف — جاءتنى رسالة أخرى من مجهول آخر هو « ح.م » ، يلفت نظرى فيها إلى حياة مجتمعات النحل والنمل ، وكثير من الحيوان والحشرات التى تعيش فى نظام محكم لا تحيد عنه ، ويبدو منها فيه إدراك واختيار ...

وأنا لم أجهل نظم الحيوان والحشرات التى أشار إليها ، بل إنى مغرم بقراءة المباحث التى فيها ؛ ولم أنكر عليها الإدراك والاختيار فى مرافق معيشتها . وقد قال القرآن قبل أن يقول العلم : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم » ...

ولكنى أنكرت أن يسوى بين حياتها وحياة الإنسان أبى العجائب ... الإنسان الذى يفكر فيها ويدرسها ويصورها ويكتب عنها ويتصرف فيها ويتغلب عليها ، وهى لا تفعل شيئاً من ذلك ! الإنسان الذى يولد وهو أقل منها قدرة على التغذى والدفاع عن نفسه ، ثم ينمو ويترقى إلى ما لا نهاية له فى الفكر والعلم بما يزيد عن ضرورات حياته ، بينما هى تقف فى نموها وإدراكها عند حدود حفظ حياتها ... الإنسان الذى خلقت هى له بدليل تسخيره لها فى خدمته ، ولم يخلق هو لها بدليل أنها لم تتغلب عليه وتسخره وتتصرف فيه ... الإنسان الذى خطا فى خمسة آلاف سنة — هى عمر التاريخ الذى نعرفه — خطوات واسعة ثابتة متلاحقة ، فتغيرت حياته من العرى والبساطة فى السكن والملبس والمدرسة والحرفة والعبادة ، تغيراً عجيباً يكاد يجن منه آباؤنا الأولون ، لو بعثوا ورأوا ما وصلنا إليه ... بينما الحيوانات والحشرات واقفة كما هى منذ عهد أجدادنا الأولين بها .

وهنا الدليل القاطع على وجود روح سام من الله فى الإنسان يدفعه إلى الأمام دائماً فى هذا العالم ، حتى يكشف عن كل سر فى الطبيعة ويتصرف فيه ، ويدفعه إلى إدراك الكمال التام الذى ينتظره فى عالم آخر .

فإن لم نعترف بقيمة سامية للانسان خارجة عن نطاق حياته الحيوانية ، فسوف تختلط أمام الفكر المثل ، وتلتوى السبل ، ونضل ضلالاً بعيداً يؤثر فى خدمتنا للعلوم والآداب الرفيعة والعمران تأثيراً رديئاً .

وإن سوء الفهم لنظرية النشوء والترقى من أكثر الذين

درسوها دراسة سطحية هي التي لونت نظرة الكثيرين إلى قيمة الإنسان بهذه الألوان المزرية التي تبعث على تحقيره وإسقاطه عن العرش الذي أجلسه عليه الدين منذ أقدم العصور . فبناء على تلك النظرة المبنية على سوء فهم للنظرية ذهبت عن الإنسان قداسته ، واختلت مقاييس الأخلاق وموازينها ، وكان في هذا أكبر دافع إلى التحاكم إلى قوانين الأدغال التي لا مجد فيها إلا للقوة العمياء والشهوات ، والسيطرة الوحشية التي لا تعترف بخدمة الفكر ، والعلم ، ولذة الحياة في مثل أعلى

وعلى فرض ثبوت نظرية النشوء — وهي للآن لا تزال فرضاً نظرياً يحتاج إلى حلقات مفقودة ليصير حقيقة علمية — لا يجوز لنا أن نخلط بين الحياة الآلية التي هي « مضروب مشترك » في أجسام جميع الأنواع ، وبين الروح الإنساني الملوح في رقي الإنسان الدائم السريع ، ونزوعه المستمر إلى العالم الأكمل ، ونفاذ فكره في عالم المعاني المجردة ، التي تبدو عجيبة رائعة في الرياضيات العليا والخفقات الروحية العليا ، والمثاليات العليا التي لا يمكن تفسيرها تفسيراً « بيولوجياً » أو « فسيولوجياً »

ولقد أحس الإنسان حتى في عصور جهالته بتفرده وامتيازه على سائر ما يحيط به في الطبيعة إذ وجد نفسه أقوى قدرة ، وأوسع حيلة في التغلب على المشقات ، وفي الرقي بالحياة رقياً مطرداً ، ولذلك لم يستطع أن ينظر إلى القبر كأنه نهاية أبدية لتلك الحياة ؛ بل وجد في إلهامه أن لا بد وراء موته من امتداد لحياته على أسلوب آخر أو على أسلوب الدنيا ...

فما بال الإنسان يشك الآن في قيمته السامية بعد أن تضخم أمامه ميراث علومه وآدابه ، وعمر الأرض عمراناً ، وافتن فيها افتناناً وصار فطناً لما فيها من جمال وأسرار ؟ !

إنه ما فتئ منذ وجوده وهو يسعى لخلوده ليظل مغموراً بهذا الإحساس العجيب بالحياة ، ولم يكن يستطيع أن يتصور الخلود في أول الأمر بأكثر من أن يعطي شعلة حياته إلى ولده . وقد وجد في ولده أكبر عزاء له عن موته وفنائه؛ ولكنه لم يقنع بهذا بل ظل يبحث جاهداً عن وسائل خلود جسده هو بذاته ، فحنطه ونقش صورته على الألواح والتماثيل ، ثم خطا خطوة أخرى فخلد فكره بالكتابة ، ثم خطا خطوات متلاحقة في العصر الحديث نحو هذه الغاية فخلد صورته الحقيقية « بالفوتوغراف » وصوته « بالفونوغراف » وأنغام نفسه « بنوتة » الموسيقى وحركات جسمه بالسينما ، ثم تصرف في الصوت والصورة والحركة ونقلها على أمواج الأثير فاخترق الحدود والكثافات بالراديو والتلفزيون في أقل من لمحة ، ثم هو الآن يتجه ببحوثه إلى عالم الروح لعله يستطيع أن يتصرف فيها . . . والله أعلم بمستقبل هذا النوع العجيب الذي ارتضاه خليفة له في أرضه ... !

فأنت ترى أنه مشغول دائماً بخلود حياته إذ يحس إحساساً فطرياً وعقلياً أنها لا يليق بها الفناء الأبدي الذي يرجعها إلى العدم المطلق ...

وأحب أن ألفت الفكر إلى أمر هام جداً وذي قيمة كبرى في النظر إلى قيمة الإنسان : وهو أن حياة هذا النوع منذ ابتداء تيقظه لها في العصر التاريخي ، وتقييد خطواته فيها حياة مطردة الرقي سائرة بسرعة إلى الوضوح والانكشاف وتحقيق الغاية من خلق النوع

ولقد عاش أدهاراً طويلة وهو يجهل أجناسه وأنواعه ، غائباً في أوطانه الضيقة يحسبها هي وحدها كل الدنيا ، لا يعلم حدود اليابس والماء ، منثوراً لا رابطة تجمعه ، جاهلاً بما في الكون من عوالم وأسرار ، وقد كانت أديانه أدياناً خاصة . كل قرية فيها نذير يسدد حياتها بحسب ظروفها هي وحدها

ولقد كان الانقلاب الإسلامي قمة النضوج في العقيدة الدينية إذ جعلها عقيدة دولية وضع فيها الأسس لوحدة البشر ، وتلاقيهم على معان مشتركة حتى يتأتى من وراء ذلك السعي إلى وحدة العمل والخدمة المشتركة ؛ ولذلك لم تقبل الأرض أن يأتيها هدى من السماء على يد رسول بعد رسول الإسلام ، وقد علم الله ذلك فأغلق باب الوحي وجعل محمداً « خاتم النبيين » ، وقد صدق الزمان ذلك فلا مجال للجدال . ولم تعد الإنسانية تقبل ظهور البطل في صورة نبي ، وقد فطن إلى ذلك « كارليل » في كتاب الأبطال ، وهذا هو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع :

« إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض » أي أن الإنسانية قد بدأت بعد الانقلاب الإسلامي دورة زمنية جديدة ، وحقاً يجد كل من يتفرس ويستقرئ التاريخ أن عصراً عقلياً جديداً قد ابتدأ بظهور الإسلام وانفساح الامبراطورية العربية التي احتضنت جميع علوم العالم القديم ومعارفه وأتمتها وحملتها إلى العالم الحديث . فالانقلاب الإسلامي ينبغي أن يجعله الإنسانية بدء تاريخ رشد للعقل ووحدة للدين ، وستفعل ذلك في يوم لا ريب فيه

والآن صارت الأرض كقطر واحد بأدوات الاتصال السريع وكل أمة تعلمت لغات غيرها ، وارتبطت مجموعات كبيرة من الأمم برباط واحد . واختلط الأبيض بالزنجي والشرقي بالغربي وسكان الجزر النائية النائبة في المحيطات بسكان القارات ، وصار الإنسان العادي يطلع في كل صباح ومساء على أخبار العالم الأرضي كله ، ويرى حياة جميع الأمم في السينما ... وهذه كلها مقدمات لنتائج لا شك فيها عند من يقيس ويعتبر بالماضي

وإذا ثبت أن الانقلاب الاسلامي كان بدء عهد عقلي وقلبي للانسان، فقد ثبت أن القرن السابع عشر الميلادي كان بدء عهد عملي وعلمي له . وبذلك طار الإنسان بجناحين قويين من الحياة الفكرية والحياة العملية إلى الغاية من خلقه

فليس من الصواب ولا من الإنصاف أن ننظر نظرة تشاؤم إلى حاضره ومستقبله بعد أن رأيناه يبني حياته على العلم والفكر والنظام بناء كان يعد في الماضي من أعمال السحر والإعجاز وخوارق العادات ...

ومن النظر العامي أن نزعم أن الإنسانية الآن أحط منها في الماضي ... ولست أدري ما مبعث هذا الزعم ؟ أهو ملاحظة فساد في العقيدة الدينية ؟ إن العقيدة الدينية الآن أصح منها في الماضي ؛ فهي في أكثر الأمم المتعلمة بعيدة عن الشرك والوثنيات والخضوع الأعمى للكهنة ... وما أصدق أن عاقلاً يخلي الطبيعة من عقل يدبرها ولكنه ليس إله الكهنة ؛ وعما قريب يذهب ما في بعض الأديان من بقايا الوثنية والإشراك ولن يبقى للانسانية إلا دين الفطرة والعقل بغير عنوان من يهودية أو مسيحية أو بوذية أو غيرها . وهذا هو المعنى الحرفي اللغوي لكلمة « الإسلام » « فالإسلام » ترجمة لـ « دين بغير عنوان » . فأي امرئ يؤمن بخالق واحد للطبيعة ويحسن العمل في الدنيا فهو « مسلم » والمعنى الحرفي لكلمة « إسلام » هو الانقياد لحكم الله في الطبيعة

واقرأ إن شئت : « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم ... قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ... والآيات كثيرة في هذا ، ولا محل الآن للخوض في هذا الموضوع ...

وقد صارت الأديان التي تحتضن بقايا الوثنيات تختفي وتفر من نور العلم والفكر الحر ويزعم سدنتها أن الدين لا مناقشة ، ولا تحاكم للعقل فيه ... وهذا أول الاعتراف منهم بأنهم على باطل عما قليل يذهب مذموماً مدحوراً إلى قبور الخرافات والأباطيل

وأؤكد أن كثرة حوادث انفلات المتعلمين من العقيدة الدينية ليست ناشئة من أن عقولهم لم تقتنع بالأفكار الأولية الرئيسية فيه ... وإنما منشؤها أن هذه الأفكار الرئيسية قدمت لهم في هلاهل من الخرافات والمتناقضات والألغاز ، ولأنهم وجدوا أن تاريخ رجال الدين مع الأسف الشديد تاريخ مملوء بالجمود ومواقف العداوة للعلماء الطبيعيين الأولين الذين كان لهم فضل الاهتداء إلى مفاتيح العلوم التي نالت الإنسانية منها كثيراً من الخير والبركات وصار رجال الدين الحاليون أنفسهم يتمتعون بها ويأخذون بمنافعها كما يأخذ سائر الناس بعد أن كان أسلافهم يصبون عليها شآبيب السخط واللعنات ويحرقون وينكلون بمن يجرؤ على التحدث عنها في الفلتات بعد الفلتات ...

ومنشؤها كذلك أن رجال الدين منعزلون عن حياة كثرة الناس لهم لباس خاص ويكادون يكون لهم منطق خاص بهم وحدهم . والحياة الحالية حياة عظيمة السلطان على النفوس تغري جميع أبنائها بالاندماج في موجاتها ، وتعد من يعتزلها ويناى عنها رجلاً فيه مس ونقص وشذوذ . وكل مخلص للدين مقدر آثاره في الحياة وفقرها إليه وفسادها بدونه ، يرى من الخطر أن يظل لرجال الدين ثيابهم الكهنوتية وطقوسهم التي ما أنزل الله بها من سلطان لأنها توهم الناس أن الدين في تلك الثياب والرسوم العجيبة ، ويرى من الخطر أيضاً أن يفرق شباب الأمة نشئين : فئة لعلوم الدنيا منذ التعليم الابتدائي وفئة لعلوم الدين منذ التعليم الابتدائي .

وليس بين الفئتين مرحلة يسيرون فيها جنباً إلى جنب حتى يتنفسوا في جو واحد ويقيسوا بمقياس واحد . وإذا كان هذا التفريق قبيحاً في أي أمة فهو في الأمة الإسلامية أقبح القبيح ! لأن الإسلام هو المعيشة بالجسد والروح عيشة متناسبة ، وهو دين يجعل التمتع بالملذات المحللة عبادة إذا ذكر اسم الله فيها ... ويجعل خدمة العلوم الدنيوية المفيدة فرضاً يحاسب الله على إهماله ، ويطلب من الإنسان أن يعيش عيشة رحبة عميقة بكل قوة في تكوينه . فلماذا التفريق في التعليم وفي اللباس تفريقاً يوحي إلى النفوس بمعان من التعصب والانحياز ، ويلقي في روع الناس أن حياة الدين منفصلة عن حياة الدنيا ؟ !

إن اليوم الذي توحد فيه برامج التعليم في المرحلتين الابتدائية

والثانوية فى جميع المدارس المدنية والمعاهد الدينية بحيث تحتوى البرامج على التربية الروحية التهذيبية والعلوم المفيدة للجميع . ويوحد فيه الزى بين أبناء الأمة جميعاً سواء أكان عمامة للجميع أم أى لباس للجميع ، هو اليوم الذى تصير فيه الحياة الفكرية والروحية مزيجاً مؤتلفة فيه جميع عناصر الحياة اللازمة لكل نفس بدون تكلف أو احتراف . وهذا هو ما كان عند الرعيل الأول من المسلمين فى زمن الرسول وخلفائه . فقد كان الرسول جندياً مع جنوده ، وعاملاً بيده مع عماله ، وعابداً وحاكما ورجلاً يعيش بجميع قوى جسده ونفسه ، يلبس جميع ألوان ثياب قومه ، ولم يكن يتميز على أصحابه فى شيء من السمات الظاهرة . فمن تبعه صار يلبس مثله . ولذلك كانوا كلهم فى مظهرهم رجال دين ودنيا يتفاضلون ويتمايزون بالعقل وكثرة العلم لا بالسمات والشارات .

فمن كان عنده علم من الدنيا أفتى فيه وبذل منه وعرفه الناس به فقصدوه من أجله ، ومن كان عنده علم من الدين أفتى فيه وبذل منه وعرفه الناس به فقصدوه . وليس وراء ذلك فارق ما . فلا جرم بعد ذلك ألا تكون هناك شقة خلاف وهوة شقاق بين الدين والدنيا عند المسلمين الأولين بمثل ما هما عند المسلمين المتأخرين الذين ورثوا ميراث هذا الخلاف عن أمم الغرب ، وزعم المبطلون أنه أصل عندنا كما هو عندهم

وقد كان من الواجب — لو فطنت الأمم الإسلامية — أن تظل الدراسات الكونية ضمن نطاق العلوم التى تدرس فى المعاهد الدينية ، كما كان الشأن عند المسلمين فى الدولة العباسية والدول التى تلتها إلى أن جاءت نظم العصر الحديث فى عهد محمد على . إذاً لظل العلم بما فى الدين وما فى الدنيا وحدة غير مجزأة يخرج الإنسان المتحلى بها كامل القلب والعقل تلتقى عنده الثقافات ويمرن على التوفيق بينها ، وبناء الحياة الاجتماعية عليها . فما كان عند المسلمين سبب يدعو إلى التفريق فى المعاهد وإخراج علوم الدنيا عن نطاق الدراسات الدينية . وقد ظل الأزهر والنجف والزيتونة ، وجامع القيروان ، ومساجد بغداد ، ومعاهد الشام يدرس فيها الفلك والحساب ، والرياضيات والطب ، والطبيعيات والموسيقى إلى أن أتى العصر الحديث .

وقد كان المتعلم لا يخرج إلا من هذه المعاهد وأمثالها . ولذلك أخذ محمد على ـ منشىء دراسات العلم الحديث فى البلاد العربية ـ أغلب أفراد بعثاته إلى أوربا من طلبة الأزهر ، إذ كانوا هم الطبقة المثقفة من الشباب . وقد كان بعض العلوم الدينية يدرس فى عهد محمد على فى المدارس التى أنشأها للهندسة والطب وغيرهما

ولكن جمود بعض المشايخ فى عصر إسماعيل وامتناعهم عن إدخال العلوم الحديثة بنظامها الأوربية فى الأزهر ، هو الذى جنى على الإسلام كما جنى عليه امتناعهم عن إنشاء قانون مستمد من جميع مذاهب الشريعة الإسلامية يساير روح العصر الحاضر ويكون منطبقاً على ما جد فى الحياة من مشاكل ومطالب . حتى اضطروا اسماعيل إلى فتح مدارس خاصة وإنشاء محاكم تحكم بغير الشريعة الإسلامية

إن الأوربيين اضطروا إلى انتزاع دراسة العلوم الكونية من أحضان الأديرة والكنائس ، لأنها لا تسمح بالاعتراف بالحقائق التى تناقض وتهدم تعاليمها ، بل كانت تئدها فى مهدها ، حتى جاءت الثورات الإصلاحية التى ألزمت الكنيسة حدودها ، وجعلت الناس يدخلون الكنيسة بعقل خاص ، ومعاهد العلوم بعقل آخر . ونحن المسلمين ولله الحمد لم تحدث عندنا معارك وخصومات بين الفريقين تجعل الملاقات بينهما مستحيلة ، وليس فى ديننا ما نخاف عليه من حقيقة كونية ، بل بالعكس ديننا يخدم بالعلم الطبيعى . فلا يصح أن نفرد هذا بمعاهد خاصة وذاك بمعاهد أخرى . بل الواجب أن يسير جميع التعليم فى مجرى واحد إلا فى مرحلة التخصص

وفى هذا تدارك سريع لحالة تخشى عواقبها على الدين والأخلاق ، وفيه توحيد وتوجيه لقلوب الشباب وعقولهم إلى مثل أعلى واحد . وفيه توكيد لذلك المعنى السامى العظيم : وهو أن الدين عندنا عقل وعلم ، والعلم عندنا دين وخلق .

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

زفرة مصدور!

للأستاذ علي الطنطاوي

إلى أخي شكري فيصل :

قرأت كلمتك التي أوحى إليك الحنين معناها ، فوعيت وحيه وبلغته « الرسالة » وأهديته إلى صاحبها فأثارت قراءتها ألماً في نفسي دفيناً ، وبعثت فيها شكاة ميتة ، فأخذت القلم أكتبها لتكون جواباً لكلمتك. وليغفر لي القراء النحو الذي نحوت إليه فيها ، وليغفر الزيات فإنني متألم ...

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وما عجب أن أدخل بينك وبين الأستاذ الكبير الزيات ، فإنه أخي الأكبر ، وأنت أخي الأصغر ، وأنا أحمل له من الحب والإكبار، على أني لم ألقه أبداً ، مثلما أحمل لك من المودة والحب على طول معرفتي بك ناشئاً وشاباً ، وعلى أني سأعرفك أديباً كبيراً إن شاء الله

* * *

أنا الآن في شرفتي التي تعرفها ... أطل على دمشق من فوق خمس جواد علوها مائتا متر ، فأراها كلها كصفحة الكف ، وقد انتصف الليل ، وانصرف السامرون آنفاً بعد ما أحيوا ليلة من الليالي التي تعرف مثيلاتها في دارنا ، وسكن الكون وشمله الجلال ، وأنا جالس وحدي أفكر، لا أفكر في دمشق التي حننت إليها ، وشاقتك ذكراها ، دمشق التي باكرها الربيع فضحك في غوطتها الزهر، وغمر جوها العطر ، وماست في جناتها الحور الفاتنات ، من الحور والصفصاف ومن بنات أمنا حواء ، لا أفكر فيها لأن قلبي لا يتفتح الآن لإدراك الجمال ، وقريحتي لا تنشط لوصف الربيع ، ومكان الشعر من نفسي مقفر خال . وما لي لا تخمل قريحتي ، ويذوي غصن الشعر في نفسي ، وقد عدت إلى دمشق ، على طول شوقي إليها وازدياد حنيني ، وتركت أهلاً في العراق كراماً ، وبلداً طيباً ، وأمة حية ، تحمل اللواء ، وتهز العلم ، وتتقدم لتجمع الشمل الشتيت شمل العرب المتفرق ، وتوحد الشعب وترجع المجد والجلال ، وتؤلف بين أهل الضاد من حاضر وباد ... تركت ذلك كله وعدت إلى بلدي الأول، ويا ليت بغداد كانت هي بلدي الأول ... فلم أجد في دمشق إلا النكران والأذى ولم أجد إلا ما يسوء ويؤلم ...

ولكن هل يشكو امرؤ بلده ؟ هل يهدم بيده داره ؟

إن تكلمت قال الحساد بغى وظلم ، وإن سكت قال الشامتون رضي أو عجز ، والقلب بالسكوت يتفطر ، والصدر من الصمت يتمزق ، والكلام ... هل يجوز لي الكلام ؟

يا ليتني بقيت بعيداً أقنع من بلدي بهذه الصورة الحلوة التي تتراءى من خلال أحلام الشوق الولهان ، ويوحي بها الحنين الطاغي، يا ليتني، وهل تنفع شيئاً ليتني ؟

فاقنع أنت بهذه الصورة ودع دمشق. ولكن لا ، إنك لست مثلي ، إنك ستعود فتلقى مكانك في غرفة المدرسين معداً لك ينتظرك . وسيظلمونك فيسوون بينك وبين هؤلاء المساكين الذين بعثوهم ليتعلموا العربية في ديار العجم فجاءوهم بذلك سخرية الساخرين. أما أنا فلم أبلغ مرتبة هؤلاء، ولا أنا بيالغها في يوم من الأيام ، وقد عمي أولو الأمر والنهي عن أدبي وعلمي وعما نشرت في الكتب والمجلات والصحف وهو شيء يملأ ثلاثة آلاف صفحة على أقل تقدير . هب أن فيها كلاماً مرصوفاً لا معنى وراءه تجد أني عانيت في كتابتها ورصفها عناء ، فكيف وكلها ثمرة التأمل الطويل ، ونتيجة كد الخاطر وعصر الدماغ ، وما منها شيء سرقته عن أديب من أدباء فرنسا ولا انكلترا !... عمي أولو الأمر عن هذا كله ولم يعدلوه بهذه الورقة السحرية التي جاء بها أولئك من ديار العجم يشهد لهم فيها من يسكن هناك ، بأنهم صاروا يفهمون العربية ، وغدوا أهلاً للتصدر لتدريسها ... ولم يجدوني أهلاً لأكثر من « أستاذ معاون » !

أفيكون ظلماً مني وعدواناً ، إذا أعلنت ما أصابني ، وشكوته إلى القراء ، وهم أصدقائي ، لم يبق لي من صديق غيرهم ؟ لم يبق لي صديق في هذه الحياة ، إنك لتعلم ذلك ، ولكني لا أشكو !

إنهم يقولون إني عنيد، وإني مشاغب ، وإني أثير المشاكل؛ ولست أفهم لهذا كله إلا معنى واحداً ، هو أني أوثر الصدق وأعلنه ولا أفعل ولا أقول إلا ما أطمئن إلى أنه الحق ...

وهل كان ذنباً أني حميت للفضيلة تمتهن ، وللأخلاق تهان ، فناضلت عنها وقاتلت ، وقلت لتلاميذي ناضلوا عنها وقاتلوا ؟ ...

وهل كان ذنباً أني غضبت لمحمد أن ينكر نبوته ويجحد رسالته ، جاهل غرير ، في حفلة أقيمت لتكريم محمد وتمجيد

ذكراه ؟ وهل كان ذنباً أني لا أقول لسواد الليل أنت أبيض مشرق ، ولا أقول للأعور ما أحلى عينيك ؟ ...

هذه هي ذنوبي التي خسرت من أجلها صداقات الأصدقاء وكسبت عداوات الرؤساء ، وربحت خصومة الجاهلين ، وعُددت بها من كبار المشاغبين ...

* * *

لقد قارب الفجر ، وانطفأت أنوار المدينة ... لقد مرّ عليّ ساعتان وأنا أفكر ، وكل شيء من حولي ساكن ميت ، وكذلك حياتي ! ... إنها خالية منذ سنوات ، ليس فيها شيء متحرك ... فأنا أعيش عيش الخاملين ، أرقب أبداً الحادث الذي يهز حياتي الساكنة ، ويحرك مواهبي الخاملة، ويدفعني إلى العمل ، ولكن انتظاري قد طال حتى كدت أيأس من الانتظار ...

إنك تعزيني بما حصلت من شهرة وما نلت من مكانة ، ولعل في ذلك تسلية لي لو كنت أحسّ به أو ألمسه ، إنني لا أحس والله بهذه الشهرة ، إنني كالمغني الأصم الأعمى ، يطرب الناس فيصفقون له ويهتفون ، ولكنه لا يسمع ولا يري ، فينصرف حزيناً يحسب أنه خاب وأساء ...

إن أهل بلدي ينكرون عليّ كل شيء حتى الأدب

لقد قرأت أمس مقالة سقطت إليّ عرضاً ، فرأيت فيها مقالاً يخبط فيه صاحبه خبط عمياء ، فيعد أدباء دمشق أو الذين يراهم هو أدباء ، فيذكر فيهم كل موظف في وزارة المعارف ، وكل تلميذ يدرس في أوربة ، وكل مدرسي التاريخ والجغرافيا ، ولكنه لا يذكر علي الطنطاوي ولا سعيد الأفغاني ؟ أفسمعت أبلغ من هذا الجهل وهذا النكران ؟

هذه حالنا في دمشق التي تحنّ إليها ، وتحيي الليالي تفكر فيها ، وتتراءى لك صورتها حيال الأفق وأنت قائم عند قنطرة الزمالك أو مرتقٍ ذروة الهرم ، وتساهر النجم تفكر فيها وتعد الأيام للوصول إليها ، دمشق صارت كالهرة تأكل من حبّها بنيها

لقد حمل إليّ البريد رسائل جمة ممن أعرف ومن لا أعرف يسألني أصحابها لم لا أكتب في الرسالة في هذه الأيام؟ فوجدت في هذه الرسائل عزاء ، وشكرت لأصحابها ، وتوهمت حين قرأتها أن في الدنيا من يفكر فيّ ، ويقرأ ما أكتب ، ولكني لم أجب واحداً منهم ، وبماذا أجيبهم ؟ وكيف أقول لهم إن دمشق قد قتلت في نفسي روح الأدب ؟

كيف أشكو دمشق التي أحبها ؟ وكيف أذمها بعملها ؟

* * *

ثلاثون سنة ما خرجت منها إلا بشيء واحد ، هو أني رأيت الحياة كمائدة القمار ، فمن الناس من يخسر ماله ويخرج ينفض كفه ، ومنهم من يخرج مثقلاً بأموال غيره التي ربحها ، ومنهم من يقوم على الطريق يمسح الأحذية ، ومن يمد إليه حذاءه ليمسحه له ، ومن ينام على السرير ، ومن يسهر في الشارع يحرس النائم ، ومن يأخذ القسمة من غير عمل ، ومن يكد ويدأب فلا يبلغ الواحد ، وعالم يخضع لجاهل ، وجاهل يترأس العلماء ، ورأيت المال والعلم والخلق والشهادات قسماً وهبات ، فربّ غني لا علم عنده ، وعالم لا مال لديه ، وصاحب شهادات ليس بصاحب علم ، وذي علم ليس بذي شهادات ، وربّ أخلاق لا يملك معها شيئاً ، ومالك لكل شيء ولكن لا أخلاق له ، ورأيت في مدرسي المدارس من هو أعلم من رئيس الجامعة ، وبين موظفي الوزارة من هو أفضل من الوزير ، ولكنه الحظ الأعمى ، أو هي حكمة الله لا يعلم سرّها إلا هو ، ابتلانا بخفائها لننظر أنرضى أم نسخط

ولكن ما أضيع أيامي في مدرسة الحياة ، إن كان هذا كل ما تعلمت منها في ثلاثين سنة !

* * *

لقد أذّن الفجر وأنا ساهر ، وأضيئت منارات دمشق التي لا يحصيها عدّ ، ورنّ صوت المؤذنين في أرجاء الوجود صافياً عذباً : الله أكبر ... الله أكبر ...

الله أكبر من كل شيء ، اللهم إني أرفع إليك شكاتي ...

اللهم إني قد نفضت يدي من الناس، وإني أسألك أمراً واحداً، ألا تقطعني عنك ، وأن تدلني عليك ، حتى أجد بمراقبتك أنس الدنيا ، وسعادة الأخرى ...

علي الطنطاوي

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري

— ٢ —

كانت الحركة الإسماعيلية قوة تهذيبية عظيمة، اختصت بإنشاء مدارس وجامعات أشهرها جامعة الأزهر في القاهرة وبتصنيف دائرة معارف واسعة تذكرنا بحركة التأليف الأنسكلوبيدية في فرنسا في القرن الثامن عشر. وفي هذه الموسوعة المسماة «رسائل إخوان الصفا» نجد تقريباً كل الآراء التقدمية في ذلك العصر وإشارات قليلة ثمينة إلى نظم تشكيل الجمعيات، ومنها نعلم بوجود جمعيات لإخوان الصفا في جميع أنحاء الإمبراطورية تعمل لبث آرائها بين كل طبقات الشعب وخاصة بين الصناع وأصحاب الحرف (١)

يرى الأستاذ ماسنيون أن الحركة الإسماعيلية هي التي أوجدت الطوائف الإسلامية وأعطتها ميزتها الخاصة التي حافظت عليها حتى الآن، إذ يقول: إن الطوائف الإسلامية كانت قبل كل شيء سلاحاً شهره الدعاة الاسماعيليون في كفاحهم لضم الطبقات العاملة في العالم الإسلامي لتكوين قوة منهم تستطيع قلب الخلافة وكل ما تمثله؛ وللتوصل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا الطوائف وسيطروا عليها. وهكذا أصبحت لها خاصيتان: (أولاً) كونها أصنافاً للحرف و (ثانياً) كونها مؤسسات أخوية إسماعيلية (٢)

دعنا نفحص الدلائل التي تؤيد هذه النظرية. يجب قبل كل شيء ملاحظة اهتمام الاسماعيلية العظيم بطبقات أصحاب الحرف فقد خصص فصل كامل في رسائل إخوان الصفا للنظر في الحرف اليدوية وتبويبها وتصنيفها ونبلها. وتهمنا بصورة خاصة الفقرة التي قسم فيها الذين لا يمتهنون الحرف كما يلي: قسم لا يمتهن الحرف كبرياء وأنفة، وقسم لزهده كالأنبياء، وقسم يقلدها لكسله وقلة نشاطه كالشحاذين وغير الماهرين من الصناع أو لتراخ في الطبيعة وضعف في العقل كالنساء وما يشبههن من الرجال. فالإشادة المقصودة بأصحاب الحرف بينة، والأمثلة الأخرى على اهتمام الاسماعيلية بالحرف كثيرة. وهناك عامل ثان وهو الفرق بين وضعية الطوائف في عهد الفاطميين وبينها في عهود الدول السنية. إذ كانت الطوائف تحت الحكم السني مضطهدة وخاضعة لقيود لاتعد، ومحرومة من حقوق قانونية. وكان هناك موظف حكومي يدعى المحتسب مهمته الأساسية مراقبة الطوائف وقتل أية محاولة للعمل المستقل فيها منذ المبدأ، ولدينا أدب ممتع ضد هذه الطوائف يظهر قلة ثقة الدول السنية بها، ويظهر ذلك خاصة في كتب الحسبة أي الكتب التي كتبت لفائدة المحتسب عن خطر أهل الصنائع وعن أحسن الطرق للسيطرة عليهم، وقد وصلتنا هذه الكتب من محلات متباينة كالقاهرة وحلب ومالقة

نلاحظ الفرق في وضعية الأصناف تحت حكم الفاطميين، إذ كانت تتمتع برخاء عظيم. فقد كانت معترفاً بها من قبل الدولة، ويظهر أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة، وأنها لعبت دوراً هاماً في النشاط التجاري الذي حصل في العهد الفاطمي، ففي هذا العصر نشأت نقابة الأساتذة والطلاب التي تؤلف الجامعة العظيمة أي الأزهر الذي مر ذكره. ثم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ١١٧١ م، وأعيدت مصر إلى الحكم السني وفي الحال جردت الطوائف من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لنظارة دقيقة

وهنا لك عامل ثالث يؤيد هذه النظرية، وهو الأثر القوي الذي تركه النفوذ الإسماعيلي في الطوائف بعد اختفاء الدعوة الإسماعيلية بزمن طويل. إذ يقول الأستاذ كوبريلي(١) إن الطوائف في أناضوليا في القرن الثالث عشر كانت لا تزال محتفظة بنظام متدرج في التنشيء يشبه بدقة النظام الإسماعيلي، كما أن

(١) رسائل إخوان الصفا. القاهرة ج ٤ ص ٢١٤

(٢) لم يصل الأستاذ ماسنيون مع الأسف بنظريته إلى النهاية إذ أنه يقول إن المصادر لا تزال غير كافية. La Passion d'al-Hallaj Paris. 1922, Vol P. 83, 399, 410 لاحظ الأنسكلوبيديا الاسلامية. مادة نقابة. صنف. شد

(١) لاحظ Köprülü — Les ourgines de l'Impire Otomn, Paris, 1935 P. 711.

دراسة أصناف مختلفة فى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامى أظهرت آثاراً مماثلة . وتظهر رسالة لأحد الأصناف المصرية كتبت فى القرن السادس عشر — كتاب الذخائر والتحف فى بير الصنائع والحرف — كرهاً شديداً للحكم العثمانى الذى يعتبر سبب تعاسة رجال الأصناف ، ونجد فى الرسالة فكرة انتظار المهدى لينقذ البؤساء

وهكذا نجد الآثار الإسماعيلية التى هى ضد التعاليم السنية تستمر بين الأصناف ، ونلاحظ العبارة التالية فى هذه الرسالة « إن العلم يعطلونه وبعد أن تذهب دولة العثمان يطلبونه ويقوم سيدى محمد المهدى لكل حرفة لها صدر فى الصحابة ويأمرهم باتباع الطريق فيدخلون السياج ويسألون كل نقيب عارف بصير الأمر له محتاج حتى يقوم الدين ويصلح اليقين ويبطل العقد والثلاث ويضرب أعناق النقباء الجاهلين والمشايخ المتلبسين »

وأهم من ذلك وجود أفراد من طوائف مختلفة بين أفراد الأصناف ، وهى خاصة تميز هذه الأصناف بدقة عن النقابات الأوربية، إذ يقبل المسلم والمسيحى واليهودى تحت نفس الشروط فيها ، حتى إن بعضها يغلب فيها غير المسلمين كأصناف الأطباء والمتعاملين بالمعادن الثمينة ...الخ. وهذا يظهر الرابطة الدقيقة بين الأصناف والدعوة الاسماعيلية

يتضح من كل هذا أن الحركة الاسماعيلية لعبت دوراً هاماً فى تطور الأصناف الإسلامية ، وأنها تركت أثراً عميقاً خالداً فى حياتها الداخلية ، وإن لم يوجد برهان واضح يبين أن الحركة الاسماعيلية أوجدت الأصناف[1] ، ولكن الأكثر احتمالاً هو أن الاسماعيلية أعطت مصدراً جديداً ومعنى جديداً لتشكيلات كانت موجودة من قبل . فهل كانت هذه التشكيلات من أصل بيزنطى ، أو كانت تقليداً لمؤسسات بيزنطية معاصرة خارج حدود الامبراطورية الإسلامية ؟ هذا ما يستحيل البت فيه . فآثار تشكيلات الحرف فى الفترة التى سبقت الحركة الاسماعيلية والعامل الإغريقى العظيم فى الأفكار يؤيد تفسيراً من هذا القبيل

وهكذا تكون النقابات الإسلامية عبارة عن نظام يتركب من هيكل موروث من العالم اليونانى الرومانى وسلسلة من الآراء جاءت على الأخص من الحضارة الفارسية الآرامية وأنتجت حركة إسلامية إغريقية تهذيبية فلسفية تكتلية (على هيئة جميات) فى نفس الوقت

وفى أوسط القرن الثالث عشر حدثت فاجعة الفتح المغولى الذى حطم الخلافة وأخضع المسلمين من سنيين وغيرهم على السواء إلى سيطرة شعب أجنبى كافر ، وأفضى إلى طمس التمييز الاجتماعى بين الاثنين « السنة وغير السنة » وسهل نوعاً ما اعتناق الجماهير للمذهب السنى . وباختفاء الحركة الاسماعيلية تحرج مركز الأصناف فى المجتمع السنى ، إذ بقيت بعض الصعوبات ، فأصحاب الحرف بقوا غير آمنين فى نير الطبقات الحاكمة فى الدولة . وربطوا أنفسهم بميول دينية هى وإن لم تكن خارجة عن الدين لم تكن دائماً فوق الشك ، وهذا هو التصوف، فإلى زمن قريب كانت تصدر بعض التهم من علماء السنة ضد الأصناف كالأحكام التى أصدرها الفقيه السورى العظيم ابن تيمية، أو التى أصدرها الشيخ العثمانى (منيرى بلغرادى) فى القرن السابع عشر . وعلى كل فبالرغم من كل هذا العداء كانت حالة الأصناف فى الفترة التى تلت الفتح المغولى متوطدة، واستمرت كذلك حتى حركة الإصلاح التركى فى القرن التاسع عشر التى انتهجت خطة أدت إلى انحطاط الأصناف بصورة عامة . وترجع أكثر الوثائق وكل الأخبار التى لدينا عن النظام الداخلى للأصناف إلى الفترة التى تلت العهد المغولى

وقبل النظر فى النظام الداخلى يجدر بنا أن نفحص مشكلة هامة فى تاريخ الأصناف الإسلامية . فحوالى نفس الوقت الذى نجد فيه الأصناف تختلط بطرائق الدراويش والصوفية نجدها على اتصال أشد بنظام جديد وهو الفتوة . أما أصل حركة الفتوة فغامض جداً ، وليس هذا بمحل البحث عن ذلك . ويكفى القول بأن تشكيلات الفتوة انتشرت فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر فى جميع البلاد الإسلامية . وجمعية الفتوة هى مجموعة شبان (فتيان) يربطهم قانون أو دستور دينى وأخلاقى يحتوى على واجبات وشعائر منظمة . فهم مسئولون عن ممارسة بعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية لخير الإسلام . ويظهر من هذا

(١) لهذا الحد قبلت نظرية ماسنيون من قبل (كوبريلى) و (كوردلفسكى) . أما (تشنر) فيؤجل البت لأن البحث لم يتم .

أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازى الفروسية عند الأوربيين حتى أن فون همر Von Hammer ذهب إلى أن أصل الفروسية الأوروبية إسلامى(١)

وفى الفترة التى تلت الفتح المغولى مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الاتصال بالطرائق الصوفية وبأصناف الحرف بواسطة رابطة العضوية (أى الانتماء إليها فى نفس الوقت) . بدأ هذا التطور فى الأناضول ، وانتشر بسرعة فى أنحاء العالم الإسلامى ، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلتا صنف وفتوة ذاتى مدلول واحد . أما كيف بدأ هذا الامتزاج ، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة ، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن(٢)

يلاحظ تشنر Taeschner ثلاثة أدوار فى تاريخ الفتوة ، وهى ثلاث خطوات لانحلال اجتماعى مطرد : فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية ، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة فى القرن الثالث عشر ، وأخيراً انحطت فى القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام . وهكذا اندمج الفتيان فى أصناف الحرف . ومن جهة أخرى يقول تورننج أن الصوفيين وأصحاب الحرف قلدوا جمعيات الفتوة مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها . وأكثر هذه التعليلات إقناعاً هو تعليل (كوردلفسكى) الذى يتفق مع كوبرولو(٣) على أن زمن اندماج مجموعات الفتوة بالأصناف هو فى القرن الثالث عشر فى الأناضول، ويربط ذلك بنظام هام هو نظام (أخيان روم) أو (أخوة الأناضول) . فقد ظهرت أخوة فى أناضوليا لأول مرة فى السنوات التى تلت الفتح المغولى مباشرة ، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام ؛ فالمغول الذين دحروا الدولة السلجوقية عجزوا عن التعويض عنها، وبذا اضطربت الإدارة. وفى هذا الدور الحرج تظهر الأخوة كمؤسسة قومية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم .

(يتبع) عبد العزيز الدورى

(١) لاحظ Von Hammer : Sur La Chevalué des Arabes, J. A. 1899, P. 5

(٢) لاحظ Tœscher—Die Islamische Futuwwotbündr. Z. D. M. G. 1933, P. 6

(٣) كوبرولو Les ourgines 76-8, 110 — 112

من شجو الربيع

عينـــاك . . . !

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

عَيْنَاكِ لِي قَبَسَانِ فِي زَمَنِي الْمُحَيِّرِ هَادِيَانْ
وَشُعَاعَتَانِ مِنَ الطَّهَا رَةِ وَالْقَدَاسَةِ وَالْحَنَانْ
وَسَكِينَتَانِ بِوَاحَةٍ سَجْوَاءَ عَذْرَاءِ الْجِنَانْ
سِرُّ الْإِلٰهِ بِهَا خَفِيُّ الْغَيْبِ مَعْصُومُ اللِّسَانْ
أَشْجَتْ خَيَالِيَ مِنْهُمَا فِي وَحْدَتِي أُنْشُودَتَانْ
تَتَهَادَلَانِ عَلَى رَبَابٍ لَمْ تُلَامِسْهُ بَنَانْ
عَيْنَاكِ لَوْ تَدْرِينَ فِي صَحْرَاءِ عُمْرِيَ وَاحَتَانْ
وَمُحَيِّرَتَانِ بِعَالَمٍ فَوْ قَ الْغُيُوبِ رَهِيبَتَانْ
بِالْحُبِّ وَالْأَنْغَامِ وَالْـ خَمْرِ الْمُقَدَّسِ تَخْفِقَانْ
اللهُ أَكْبَرُ ! بَلْ هُمَا مِنْ نَايِ رَبِّكِ هَمْسَتَانْ
وَهُمَا لِرُوحِي فِي الشَّقَا الْ جَانِي لَدَيْكِ عِبَادَتَانْ
بَلْ نَشْوَتَانِ ، وَسَجْدَتَا نِ ، وَفِتْنَتَانِ ، وَتَوْبَتَانْ
وَهُمَا لِحُبِّيَ لَوْ عَلِمْـ تِ مِنَ الضِّيَاءِ تَمِيمَتَانْ
تَقِيَانِ قَلْبِيَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَا وَشَعْوَذَةِ الزَّمَانْ
... ...
عَيْنَاكِ عَبْدُ سَنَاهُمَا يَفْنَى وَلَا ...
... لَا تَدْرِيَانْ !

(ديوان المعارف) محمود حسن اسماعيل



صاحب الديوان الظريف

أما أنه ظريف حقاً فذلك ما يتبين من هذا الحديث الذى أسوقه عنه، ولكم تمنيت لو كان أصحاب الديوان جميعاً على شاكلة هذا الشاب الذى ساقتنى الظروف السعيدة إليه ...

ولن يتسع المجال إذا أردت أن ألم بنواحى ظرفه جميعها ولذلك فحسبى أن أقصر الحديث على آخر لقاء كان بينى وبينه

دخلت حجرة عمله فما رآنى مقبلاً عليه حتى خف للقائى ضاحكاً مرحباً يمد لمصافحتى يمناه ويقدم إلىّ كرسياً بيسراه على صورة لفتت أنظار الكثيرين ممن حوله من أصحاب الديوان ، وأمثال هؤلاء لن يلفت أنظارهم الرصينة المنكبة على حل المعضلات إلا أمر غير مألوف

وجلست ترمقنى العيون برهة وحرت أول الأمر كيف أبدأ الكلام وما جئت زائراً، ولا أنا بصديق لهذا الذى أسرنى ظرفه ، وما كانت معرفتى به إلا من كثرة ترددى عليه فى أمر لى عنده .

وبدأ هو الكلام فقال : « قهوة والا قرفة والا شاى يا سعادة البيه ؟ » ؛ واعتذرت شاكراً فما زاده اعتذارى إلا إلحاحاً بل وتوسلاً أن أتنازل فآخذ شيئاً مما ذكر ، ولست أدرى ماذا كان يبلغ من قوة إلحاحه لو تبين على وجهى أمارة القبول ، على أنى والحق يقال لم أر فى وجهه إلا أنه جاد ، وإلا فبماذا يفسر هذا التوسل الذى ما فتر والذى لم ينته فى الوقت نفسه آخر الأمر إلى شىء ؟

وابتسمت وتواضعت وتصنعت الحياء وقلت فى رفق يتناسب مع ما لقيت من ظرف : «لعلك انتهيت من مسألتى» فقال : « أيوه يا فندم قربنا ... حالاً إن شاء الله ، الحكاية كثرة عمل والمدير كل ساعة يطلبنا ، وكل عام وأنت بخير إجازة المولد ... على كل حال كن مطمئن احنا محاسيب يا فندم ... »

وجاء أحد السعاة فاستدعاه لمقابلة المدير فنظر إلىّ كأنما يقول هكذا لا ينى المدير عن طلبه ، وأخذ فى يده مجموعة من الأوراق كان ينظر إليها فى اهتمام واستأذننى وهو يرجو أن يعود فلا يجدنى .

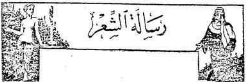
وجلست أنا متعجباً حائراً كيف يكون هذا الذى أرجو منه حل مسألتى محسوباً لى ، وهو لا يعرفنى كما ذكرت إلا من ترددى عليه ! ؟ وتنازعنى الضحك والغضب ، فأما الضحك فمن هذه الحركات « البهلوانية » المحكمة، وأما الغضب فلأنه يظن أنى لست أفهم أنه يسخر منى ، دع عنك إهمال أمرى الذى استمهلنى آخر مرة جئته فيها من أجله ثلاثة أيام ، فما عدت إليه منذ ذلك اليوم إلا بعد ثلاثة أسابيع ، ومع ذلك فهو يقول « قربنا » والمسألة فى غير مبالغة لا تستغرق منه أكثر من ربع الساعة !

وعاد فوجدنى لا أزال فى موضعى ، فتلاقى فى وجهه التجهم والابتسام فى وقت واحد ، وهو من كثرة مرانه يعرف كيف يبتسم بناحية من وجهه ، ويتجهم بالناحية الأخرى ... ثم غلبت ابتسامته تجهمه فى أسرع من ارتداد الطرف ، ونظر إلى من ابتسم إليه من أصحاب الديوان ابتسامة فهمت منها أنهم يضحكون منه لأنه لم يستطع أن يصرفنى أو يضحكون من أنى على الرغم من ألاعيبه بقيت ثابتاً لا أتحول

وجاء شخص غيرى رقيق الحال يلبس جلباباً عليه معطف يسأله هو أيضاً عن مسألته فقال فى نفس ظرفه وأدبه : « حاضر يا عم إن شاء الله تجينا بعد يومين تكون مبسوط » ولما شكا الرجل وغضب قال له باسماً : « حلمك يا بويا إن الله مع الصابرين قلت لك إن شاء الله تكون مسرور » ولما أدار الرجل ظهره لينصرف نظرت إلى صاحب الديوان فإذا به يخرج له لسانه ، وابتسم ابتسامة عريضة وضحك من رآه من أصحاب الديوان ، وكثيراً ما أضحكهم بمثل هذه الأمور كما قرأت ذلك على وجوههم

واتجه إلىّ قائلاً : « شرفت يا بيه » وفهمت معناها فليست إلا مطالبة بالانصراف ؛ وهممت أن أنصرف ، وقد تأكد لى ما سبق أن عرفته من أن الأوراق عند أصحاب الدواوين قسمان ، قسم يعلم به المدير أو الرئيس ، وهذا هو الذى ينجز ويعد ، وقسم لا علم للرئيس به ، وهذا لا يتناوله أصحاب الديوان ولو بمجرد القراءة ، وعلى مصالح الناس ألف سلام !

وسلمت فنهض يصافحنى فى ظرفه ولباقته ، وهو يقول : « ما تآخذناش يا بيه ، والله الواحد خجلان ... حالاً إن شاء الله » ومضيت ولكنى التفت عند الباب أنظر إليه فلست أدرى لم ألقى فى روعى أنه ظل يخرج لى لسانه منذ ودعته ... « خ »



صخرة المكس

للدكتور ابراهيم ناجى

تعال نزف للثغر السلاما ... ألست ترى على الثغر ابتساما
ألم تشعر كأن يدىْ عزيز ... مسحن لك المواجع والسقاما
كأن خطى العُباب خطى حبيب ... كأن للموج أفئدة ترامى !
سلاماً يا عروس الماء إنى ... أحبك لا أملّ بك المقاما
أسير إلى لقائك نضو شوق ... وأرجع عن ربوعك مستهاما
أراك فتنتشى روحى وقلبى ... كأنى قد سقيت بك المُداما
وإن طوى البساط فنصب عينى ... عليك خيال أحبابى القدامى
وإن طاح الزمان بكأس حبى ... فلا الساقى نسيت ولا الندامى !

***

فؤادى قم بنا نذكر شجانا ... لصخر فى جوار المكس قاما !
تعال ولا تقل هـذا جماد ... وكيف تروم بالصخر اعتصاما؟
فكم فى الحىّ من قلب أصم ... تنكر أو تجاهل أو تعامى
وكم صخر أحس بما عنانا ... وما عرف الحديث ولا الكلاما
وكم فى الناس من رجل قوى ... شديد البأس يقتحم اقتحاما
تعرض للحوادث لا يبالى ... تلقاها نصالاً أم سهاما !
فإن عرضت له الذكر الخوالى ... رأيت الكون فى عينيه غاما
عرته الرجفة الكبرى وراحت ... جيوش الصبر تهزم انهزاما !

***

بربك أيها الأنوار ماذا ... صنعت بساهر ألف الظلاما
بربك أيها الأمواج ظلت ... على الشطآن ترتطم ارتطاما !
أتيتك أبتغى منك التأسى ... وأنشد فى نواحيك السلاما !
أراك فتحت لى شجناً جديداً ... وكنت أروم للماضى التئاما !
وهيتُ، وخاننى جلدى، وإلا ... فهذى الدمعة الحرّى علاما !
أيا بلد التأسى كيف أنسى ... زمانى فيك كهلاً أو غلاما !
ويوم أتيت مكتئباً عليلاً ... أحس البين يدنو والحماما !
أجرجر فيك أقداما ثقالاً ... وأجمع من عزيمتى الحطاما !
وعلاتى وأدوائى كبار ... شربن دمى وأبلين العظاما !
أراك فلا أبالى بالمنـايا ... وأحمد عند شاطئك الختاما
وكم طاف الرفاق وغادرونى ... كعوّاد ومرّوا بى كراما !
تمر بى الحياة ولست أدرى ... أيوم مرّ أم قضيت عاما !
عرفتك والشتاء يمد ظلاً ... وينشر فى جوانبك الغماما
عرفتك والمصيف عليك زاه ... وقرن الشمس يضطرم اضطراما
عرفتك والعواصف فيك غضبى ... نشرن على محياك القتاما !
عرفتك و(الفلائك فيك بيض) ... مجنحة يحاكين الحماما
عرفتك هادئاً والفجر غاف ... كأن البحر وسده فناما !
عرفتك كالصديق بكل حال ... وكنت شراب روحى والطعاما
وملحك فى دمى، وشذاك باق ... وهذا الصوت أسمعه دواما !
تعالىْ صخرة الماضى أجيبى ... وقوفك وانتظارك ذا إلاما
لقيت من العباب كما لقينا ... من الأيام قرعاً واصطداما !
كأنك للورى هدفٌ وهذى ... جموع تبتغى أمراً جساما !
إذا ما أخفقوا رجعوا فرادى ... وإن همّوا وجدتهم زحاما !

***

فؤادى إن تغيرت الليالى ... فمثلك من رعى فيها الذماما !
بلغنا كعبة الآمال فاخشع ... ودعنا فى مناسكها قياما
خذ السلوان من حجر صموت ... فما أحراك بالحجر استلاما !

***

بربك أين أحلامٌ غوال ... وعمرٌ قد قطعنـاه نياما
نسقاه أمانىّ أو خيـالا ... ونطعمه قصيداً أو غراما !
وعهد كان فيك ربيع وَرْد ... كهذا اليوم حسناً وانسجاما !

ناجى

العمر الضائع

[مهداة إلى الشاعر الملهم الأخ أحمد فتحي]

للأستاذ خليل شيبوب

ضَيَّعْتُ عمرىَ فى هواكِ فضاعا   وأعاضنى الأسقامَ والأوجاعا
وغدوتُ لا أملٌ أعيشُ به ولا   قصدٌ أُطالعُ وجهَهُ استطلاعا
إنى لأَعجبُ منكِ كيف طَلَبتِنِى   ومددتِ تُغْوِينى يَداً وذراعا
ونبذتِ داعى الكبرياءِ مهانةً   حتى تَرُدِّينى إليكِ خداعا
ونَسيتِ في الماضى القريبِ مواقفاً   لكِ صكَّتِ الأبصارَ والأسماعا
لكنْ إبائى ردَّنى فكأنه   حولى أقامَ معاقلاً وقلاعا
مِنْ بعدِ ما عَثَّرَ الفؤادُ بنفسه   والأمرُ أُفْلِتَ من يديه وضاعا
فأفادنى نُبلى بحبكِ شِقوةً   رضى الفؤادُ بحكمها وأطاعا
متجانفاً عما أردتِ من المنى   متكافئاً خلقاً به وطباعا
قد أَزْهَقَتْنِى عزلتى فكأننى   من قبل دفنى قد دُفِنْتُ تباعا
أصبحتُ مثلَ المومياءِ محدِّثاً   عن غابرٍ لى لم يكن لِيُذاعا
عهد به جَرَّبتُ فيكِ حوادثاً   صَدَعَتْ حشاىَ صروفُها فتداعى
غيرى تمرُّ به تجاريبُ الهوى   مرَّ الكرامِ فلا يُحِسُّ صراعا
لكنني غَلَبَتْ حجاىَ مشاعرِى   فبقيتُ محترقاً بها ملتاعا
خِزْيًا لحبكِ إنه البحرُ الذى   غالَ الغريقَ وما أراهُ القاعا
بُعْدًا لحسنِكِ إنه الليلُ الذى   ضَلَّ الحليمُ به ورابَ وراعا
بعضُ المحاسنِ لو علمتِ مَسَبَّةٌ   للمليحةِ لا تفهمُ الأوضاعا
نُشِرَتْ شِبا كافاعْتَلقت بها وما   أَحْسَنْتُ عن قلبى الضعيفِ دفاعا
إنى رأيتكِ منيةً علويةً   ورآكِ غيرى فى الزمان متاعا
ولقدأبيتُ سوى التفرُّدِ فى الهوى   وأبيتِ إلا أن أراكِ مشاعا
فإذا الأبىُّ مُدَفَّعٌ عن نفسه   وإذا الغبىُّ مُمَتَّعٌ إمتاعا
وإذا ثمارُ الحسنِ قد أَطْعَمْتِها   نفرًا يجيئون الطعامَ شباعا
من كل مكظوظٍ يراكِ علالةً   يلهو بها ساعًا ويسأمُ ساعا
وَحَرَمْتِ قلبًا قد طوى يأسًا على   يأسٍ وعاش مُفَجَّعًا مرتاعا
يا بؤسَ قلبٍ فى هواكِ مُضَلَّلٍ   لم يَعْرِفِ التمويهَ والإيقاعا
قد كانَ يملكُ فى الحياةِ إرادةً   لكن هواكِ قد اشتراهُ وباعا
أَعْطِيتِه ملكَ الهوى فتصرَّفى   فيه ولا تَرْعَىْ له ما راعى
وخُذِيهِ لا بوركتِ فيه لأننى   آبى لِما أَعْطَيْتُهُ استرجاعا

* * *

الصدرُ يطفح بالمرارة ثائرًا   والنفسُ واجفةٌ تطير شعاعا
وتُمِضُّنى ذكرى هواكِ كأننى   فى كل يومٍ أَسْتَجِدُّ وداعا
وأظلُّ مذهوبَ الفؤادِ لأننى   ضَيَّعتُ عمري فى هواكِ فضاعا

خليل شيبوب

M. Arab. 150

التأمين

كان أحد موظفى شركات التأمين مسافرا فى إحدى مناطق الولايات المتحده الزراعية وكان رأيه أنهم يقولون أكثر من اللازم « ليس عندي وقت » ففكر حينئذ فى وسيلة ممتازة للجواب على هذه الحجة فاستأجر عاملا زراعيا يعرف كيف يقوم بشق الأعمال ثم اصطحبه وراح يعمل كالفلاح بكل معانى الكلمه فاذا كانت الفرصة المناسبة للحلب أو البذر أو الدرس فلا داعى للقلق إذ أن خادمه كان يعمل كل مايلزم لتأمين الخدمة وفى هذه الأثناء كان العميل الفطن يستطيع أن يقنع المزارع بمزايا التأمين .

ويوجد فعلا شركات تأمين متنوعة تؤدى منافع كبرى من ضمنها مثلا التأمين ضد عواقب المرض المالية فان هذا النوع من التأمين أصبح معروفا منذ زمن بعيد فى معظم بلدان أوربا. وهو ينتشر الآن بسرعة فى أمريكا باعتبار التأمين المتبادل ضد المرض لكن هناك أيضا مناطق واسعة وكثيرة حيث تنتشر الأمراض المعدية وحيث نسمع رغم ذلك أحداً يتكلم عن إحدى الضمانات ضد هذا الخطر فهذا شىء لم يزل مجهولا تماما فى بلدان المناطق الحاره مع أنه لدى سكان تلك المناطق وسيلة لتأمين أنفسهم ضد أمراض توجد غالبا هناك .

ونحن نقصد الملاريا التى هي بلية البشرية وهي تميت كل سنة ملايين الضحايا وتسبب أيضا خسائر كبرى من الجهة الاقتصادية لكن بالامكان الآن الوقاية من الملاريا ببعض دريهمات فى اليوم إذا اتبع الانسان النصائح التى تعطيها لجنة الملاريا فى جمعية الأمم فهذه اللجنة قد تحققت من أنه بالامكان التحصن ضد الملاريا بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول موسم الحميات ضد الملاريا . وإذا كان الانسان قد أصيب بالمرض فان هذا العلاج الممتاز يظهر مفعوله بسرعة ويكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم لمدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى فى هذه الحالة لعمل معالجة تكميلية على أنه من الضرورى التأمين ضد الملاريا باستعمال الكينا كعلاج واق .

الأدب في أسبوع

الأزهر

الأزهر — كما يجب أن نعرفه — إن هو إلا تاريخ مصرىٌّ عربى إسلامى كاملٌ متتابعٌ قد امتدَّ على مَدْرَجة التاريخ ألف سنة يجدِّد فيه ويتجدَّد به ، ويمشى عيشه هذا فى التاريخ كالمدد المتلاحق الذى يستفيضُ بمائه لينشئ القوةَ فى رُوح الجيش المترابط وأعصابه وأفكاره وأعماله المجيدة . وهذا التاريخ العجيب الذى لا يزال حيا فى هذه الأرض ، هو كالتاريخ الإسلامى والعربى كله مجهولٌ متروك لم تَنفُضْ عنه الحياةُ العربية الجديدةُ غُبار السنين المتقادمة والأجيال المتطاولة التى تعاقبت عليه بالنسيان والإهمال والهجر . وإذا نظرنا إلى الأزهر على مقتضى هذه النظرة وبسبب من هـذا الرأى — علمنا أنه كهذا التاريخ الإسلامىّ قد تعاورته القوةّ والضعف ، وحزّت فيه سيما العلم وميسم الجهل ، وتغلغل فيه النبوغ الفذُّ السامى والنبوغ الشاذُّ النازل : النبوغ السامى الذى ارتفع بروحانية الشعوب الإسلامية وأخرجها من سُلطان الشهوات والجهالات ، فمدّتْ بذلك سلطانها على جزء عظيم من العالم ، والنُّبوغُ النازل الذى هَوَى بروحانيةِ هـذه الشعوب إلى الجَدَل والفُرقة والمذاهب والآراء الخاضعة لسلطان الشهوات العقلية المريضة ، فقلَّصتْ ظِلٌّ هذا السلطان عن هذا الجزء العظيم من العالم

والأزهرُ — كان — مجتَمَع القُوى المختلفة التى عملتْ فى إنشاء الحضارة الإسلاميَّة والعربيَّة التى عاشتْ فى التاريخ الماضى وملأته بالألوان المختلفة من مميزات هذه الشعوب الإسلامية المتباينة ، المتباعدة فى مطارح الأرض ما بين الصين إلى المغرب الأقصى . واستمرّ على ذلك مئات من السـنين تتلوها مئات ، وكذلك مهدت هذه السنين للشعب العربى المصرى فى هذا العصر — عصر النهضة الجديدة فى الشرق — أن يكونَ هو قِبْلَةَ الأمم العربية والإسلامية . وذلك لأن روح الشعب المصرى ، وثقافته الموروثة فى تفكيره وأخلاقه وطباعه ، وحضارته القديمة التى تبرَّجتْ على ضفاف النيل — هذه كلُّها ليست إلا خلاصة هائلة مُصفّاة من أرواح الشعوب الإسلاميَّة كلها وثقافاتها وحضاراتها . وكان الأزهر هو المصدر الذى استمدّتْ منه مصر هـذا الفيض المظم الجارى فى أودية التاريخ المتقدِّم ، لأنَّه هو كان الجامعة الوحيدة فى هذه الديار، وكان أكبر جامعة وأعظمها فى سائر الديار العربية الإسلامية. وبهذه الخلاصة التى اجتمعت فى الأزهر، ثم انتشرت منه فى أرجاء مصر قديماً وحديثاً استمد الشعب المصرى بطبيعته لأمر مقدور ، هو أن يكون زعيما للشرق فى عصر النهضة الجديدة ، لأن كل شعب من الشعوب العربية والإسلامية يرى فى هذا الشَّعْب صورة من نفسه مكملة بألوان أخرى من صور سائر الشعوب التى تمتُّ إليه بسبب من الدين واللغة والحضارة والثقافة والفكر والدم

ونحن نأسف إذ نرى الناس إنما ينظرون إلى الأزهر نظرةً محدودةً ضيقةً لا تتراحب ولا تنفذ إلى حقيقة هذا التاريخ القائم فى أرض مصر . فهم يعدُّونه معهداً دينياً ، ويكون تفسير كلمة الدين هنا — على غير الأصل الذى يعرف به معنى الدين فى حقيقة الفكرة الإسلامية التى ختم الله بها النبوات والأديان على هذه الأرض . وهذا المعنى الجديد المعروف فى زماننا لهذه الكلمة كلمة « الدين » ليس إسلامياً ، لأنه لا يلائم روح الإسلام فى شىء . . .

كلا ، بل هو يهدمُ أعظم حقيقة حية أتى بها هذا الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليجعل الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ويجعلهم الوارثين . وهذه الحقيقة الحية الجليلة هى جعل كل عمل من أعمال الإنسان المسلم فى الحياة عبادة تقربه إلى الله . . . فليس البيْع والشراء ، أو تدبير أمور الناس فى الملك ، أو العلم والتعليم ، أو تربية الولد ، أو الخدمة التى يؤديها الرجل لمن يخدمه . . . ليست كل هذه الأشياء الاجتماعية فى منزلتها من الدين الإسلامى : إلا كالصلاة والصيام والزكاة وسائر الأعمال التى يفهم بعض الناس الآن أنها هى الدين حسبُ . فالأزهر الإسلامى هو الذى تتمثَّل فيه حقيقة الإسلام — أو يجب أن تتمثل فيه هذه الحقيقة — ، وتاريخه الماضى كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية الإسلامية بكل ألوانها وأنواعها ، مع ما كان قد عرض فيها من العيوب التى أدركت الشعوب الإسلامية وجعلتها تنزل عن المرتبة الأولى التى كانت لها فى تاريخ الحضارات السالفة

التي سبقت الحضارة الأوربية لهذا العصر. فلما هجمت علينا الحضارة الحديثة من أوربا بعواملها المختلفة؛ وسياستها القوية التي تغلبت على كل سلطان في الشرق؛ ثم اندست العوامل الغريبة في الأمم الإسلامية، وعملت الأيدي العدوة عملها في تمزيق الروابط بين طبقات الشعب... رجع الأزهر إلى غيله يستتر فيه، وقبع أهله عن صراع الحياة الجديدة صراعاً يراد منه الظفر؛ وكذلك سار الناس ناحية، وسار الأزهر ناحية أخرى؛ وكان ذلك أول البلاء على الأزهر وعلى الشعب نفسه!

إصلاح الأزهر

وقد أحس كثير من المصلحين من أهل الأزهر وغير أهله - ممن يعرفونه أصلاً كبيراً في الحياة المصرية والعربية والإسلامية - بما تقتضيه طبيعة الموقف الذي صار إليه في هذا العصر، وبما توجبه حقيقة الدين الإسلامي، فهبوا إلى إصلاحه والنظر في شأنه مرة بعد مرة. وكان العمل لذلك شاقاً كثير المتاعب غير قريب المنافذ، فاضطربت الأيدي واختلفت الأغراض، وسار هذا الزمن السريع بقوة واندفاع؛ لا يملك معه المصلح الانطلاق في آثاره على مثل سرعته واندفاعه وكذلك لم يزل الأزهر الآن في منزلة غير المنزلة التي يوجبها له قيامه ألف سنة على التاريخ الفكري والثقافي والعملي في الحضارة الاسلامية

وقد كتب الأستاذ «الزيات» — في فاتحة العدد الماضي من الرسالة — كلمته الجليلة «في سبيل الأزهر الجديد» يطالب الأزهر بالرجوع إلى المنابع الأولى للدين واللغة والأدب والعلم. وحب «الزيات» للأزهر، ورغبته في المبادرة إلى علاج الأدواء التي تلبست به من أمراض الأجيال السابقة، هي التي حملته على أن يكتب كلمته لتظفر مصر «بجامعتها الصحيحة التي تدخل المدنية الغربية في الإسلام، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب، وتصفى الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة»

نعم إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لم يقصر في اجتهاده أن يجعل الأزهر مثابة للعلم الإسلامي الصحيح، ولم يتخلف عن النصيحة له بما توحي به الرغبة الصادقة في تحريره من آصار قديمة عاقته عن بلوغ غايته التي يحق له أن يبلغها. فقد وضع الأستاذ الأكبر من عشر سنين نظامه الجديد للكليات في الأزهر وجعل أحد قسمي التخصص في هذه الكليات موقوفاً على مادة من مواد الشريعة أو اللغة أو الأدب أو التفسير والحديث أو المنطق والفلسفة أو الأخلاق والتاريخ وعلم النفس وما إلى ذلك. وأمد هذه الكليات العالية — في دراستها لما خصصت له — بالكتب الأصول المتمدة في بابها ككتاب سيبويه، وخصائص ابن جنى، وسر صناعة الإعراب لابن جنى، وتصريف المازنى، وكتاب فيلسوف النحو رضي الدين الاسترابادي صاحب شرح الشافية، وشرح الكافية، وهما عمدة أصحاب النحو والتصريف. وكذلك جعلت كتب عبد القاهر - دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة -، وكتاب الصناعتين لأبي هلال، وأدب الكاتب، والكامل والأمالي وغير هذه من أصول الأدب واللغة هي مادة الدراسة في هذه الكليات

وقد قام على التدريس في هذه الكليات جماعة من خيرة من أنجبهم الأزهر فاستقلوا بتدريس هذه الكتب الجليلة خير استقلال، فنرجو أن يظهر الأزهر الجديد بعلمه الجديد الذي استمده من الكتب الأصول، وأن يعتمد فيما يستقبل من أيام نهضته كل الأصول الأولى في تدريس الفنون المختلفة التي يقوم بنشرها بين أبنائه ومريديه وطلبته. هذا ونرجو أن تحقق روح الأزهر - التي تتصل بالشعب المصري وسائر الشعوب الإسلامية - معنى الإسلام الصحيح الذي يطالب المسلمين بالسيادة والقوة والغلبة، ولا يكون ذلك إلا يوم يتصل الأزهر اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات العالمية؛ ليوجد للشعب المصري والعربي والإسلامي ثقافة تضارع كل هذه الثقافات، مبرأة من عيوبها التي فرضتها عليها البيئة غير الإسلامية التي نشأت تحت ظلالها وفي رعايتها

وأما أ كتفي بهذا القدر من القول، وسأعود قريباً لأبدي بعض الرأي في أنواع من الإصلاح تراد للأزهر وغير الأزهر، أرجو أن تنال بعض الرعاية ممن يتولون شأن هذا الإصلاح

المجمع المصري للثقافة العلمية

بدأت في الأسبوع الماضي جلسات المؤتمر السنوي للمجمع المصري للثقافة العلمية برياسة حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا، وهذا هو المؤتمر الحادي عشر لهذا المجمع العلمي الصامت الذي يجاهد في إنشاء الثقافة العلمية العربية في الشرق بما يسعه جهده وماله: والمجمع العلمي هو أهم ما يحتاج إليه الشعب العربي الذي ابتعد به الزمن عن متابعة النهضات العلمية المختلفة التي تجددت بالحضارة الأوربية الحديثة. وقيام هذا المجمع بنشر الثقافة العلمية — في حدود طاقته — قد أوجد للأمة العربية ذخيرة عظيمة

تقع فى عشرة مجلدات ، كلها مباحث علمية عظيمة مكتوبة باللغة العربية مع قلة الاصطلاحات العربية العلمية التى تؤدى المعانى العلمية الجديدة التى لم تقرر لها بعد مصطلحات ثابتة فى مادة هذه العلوم

وهذا المجمع العلمى العظيم لا يلقى — مع الأسف — ما هو حقيق به من الحفاوة والاحتفال فى الأوساط الأدبية والعلمية التى توجب عليها مهمتها الشاقة إمحاض النصيحة للأمم العربية ، بتشجيع القائمين بأعمالهم المجيدة فى صمت وسكون ورفق . ومن أعجب العجب أن تعقد المحاضرات والمناظرات الكثيرة التى تعتمد أكثر ما تعتمد على الثرثرة ومضغ الأحاديث والتمطق بمبذول الكلام ، وتجتمع لهذه المحاضرات والمناظرات فئات كثيرة من طبقات الناس . وفى صدرهم كثير من أصحاب الأمر وعظماء الأمة ثم يعقد هذا المجمع مؤتمره مرة فى كل عام — فلا يلقى من هذه الفئات ولا من هؤلاء العظماء ما هو أهل له من المتابعة والاهتمام أو المجاملة إن شئت

وكان الظن أن تعمل وزارة المعارف والجامعة وسائر المعاهد والوزارات التى يتناول المجمع ـ بعض ما يخصها أو يقع فى حدود أعمالها ـ بالبحث والدرس والتحقيق والكشف : كان الظن أن تمهد هذه له سبيل إبلاغ صوته إلى أكبر عدد ممكن من المثقفين ، تشجيعاً له وللقائمين عليه ، وطلباً المنفعة التى تأتى من إثارة اهتمام هذه الجماهير بنتائج الأبحاث العلمية وأنواعها ، وضروبها المختلفة التى يقوم المجمع وأعضاؤه على إعدادها ومتابعتها والعمل على نشرها ، لتكون سبباً من أسباب اليقظة العلمية التى تقتضيها النهضة الحديثة فى الشعوب العربية

وقد جمعنى مرة مجلس فيه فئة من كبار الأساتذة فى بعض المعاهد العلمية العالية ، فلم أجد عند أحد منه خبراً يعلمه عن هذا المجمع ، فما ظنك بعمله أو إنتاجه أو غايته التى أريد لها إنشاؤه وتأسيسه ؟ وهذا أمر يؤسف له ، ويوجب على المجمع وعلى كل ذى رأى أن يعمل على تنبيه الوزارات والمعاهد إلى قيمة هذا العمل الذى يقوم عليه المجمع ، وإلى توجيه أنظار الناس إليه بكل سبيل ، حتى يستطيع أن يؤدى إلى الناس ما يرغب فيه من نشر الثقافة العلمية التى يحتاج إليها هذا الشعب فى كل أغراضه وأعماله ، وفى بعث الروح العلمية التى تكفل له القيام بالعبء المثقل الذى يريد أن ينهض به فى بناء الحضارة الجديدة التى يتهيأ الشرق لوراثتها عن الحضارات التى هى فى سبيل إلى الهلكة والتدمير والبوار

هذا وقد بدأ المجمع مؤتمره لهذه السنة بالمحاضرة التى ألقاها الدكتور حافظ عفيفى باشا عن « الأصول العلمية الحديثة وتطبيقها على الزراعة » ، وقد عرض فيها لأهم ما يشغل الأسواق المصرية فى هذا الوقت ، وهو نظام الحاصلات والأسواق الداخلية ، فأبان كل البيان عن وجه المصلحة التى يجب أن يقصدها القائمون على أمر الشئون الزراعية فى هذه الأوقات العصيبة المنذرة بأشد الأزمات على الأسواق التجارية . ثم تبع ذلك بحث فى أهم ما يخافُ منه وما تخشى عواقبه فى أزمان الحرب ، وهو تفشى الأمراض والأوبئة ، وما يجبُ على الشعب المصرىّ وحكومته أن تعمل على تفاديه بكل سبيل . فألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل : « حاجة البلاد إلى تعديل خططها الطبية والصحية » ، وقد أبانت هذه المحاضرة عن هول الحالة الصحية التى تختفى فى كل ناحية من نواحى هذا الشعب المهمل المسكين

آلهة الكعبة

كنت قرأت فى البريد الأدبى من عدد الرسالة ٣٥٠ كلمة للأخ محمد صبرى فى قصيدة الأخ الشاعر محمود حسن إسماعيل ، ينكر فيها أن « اللات ، والعزّى ، ومناة » من آلهة الكعبة ، قال : « وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة ، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها » . ثم استشهد قول ابن الكلبى فى كتاب الأصنام ، حين ذكر مواضع هذه الأوثان الثلاثة . وقد كان اعترض بعض أصحابنا قبل ذلك — فى مجلس الأستاذ الزيات — بمثل ما اعترض به الأخ صبرى ، فرُمتُ أن أقول : إن وجود هذه الثلاثة فى الكعبة أو حولها ليس يمتنع . وذلك لأن ابن سعد ذكر فى طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت — بعد فتح مكة — وهو على راحلته ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب فى يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً » . فيقع الصنم لوجهه . وابن الكلبى لم يعد لنا فى كتابه الأصنام غير أسماء ثلاثين صنما ، وزاد زكى باشا عليها خمسة وأربعين صنما ، فهذه خمسة وسبعون ، فأين هى من ثلاثمائة وستين ؟ . . . وما كانت كل هذه الأمة من الأصنام إذن — إن لم يكن منها اللات والعزى ومناة ، وهى أشهر أصنام الجاهلية ، وهى المذكورة فى القرآن فى سورة النجم ، وقد كان نزولها بمكة ؛ وما أظنها تذكر بأسمائها إلا وكفار قريش يعظمونها

فإذا عظموها اتخذوها فى الكعبة وهى بيتهم المعظم ، كما كانوا يتخذون الأصنام فى بيوتهم ودورهم . ثم رأيت أخيراً أن ابن سعد يذكر فى فتح مكة أن رسول الله بث السرايا إلى الأصنام التى حول الكعبة فكسرها ، منها : « العزى ، ومناة ، وسواع ، وبوانة ، وذو الكفين . فنادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدعْ فى بيته صنما إلا كسره »

ثم جاء كلام أبى جعفر الطبرى فى تفسير سورة النجم ج ٢٧ ص ٣٦ يقطع الشك باليقين إذ يقول . « وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: اللات والعزّى ومناة الثالثة — أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها » ، وهذا هو المعقول ، وليس من المعقول أن تخلو كل هذه الأمة من الأصنام التى كانت حول الكعبة من تماثيل منصوبة للات والعزى ومناة الثالثة ، وهذا ليس يمنع أن تكون القبائل غير قريش مكة قد اتخذت لها أنصاباً نصبتها فى الأماكن التى ذكرها ابن الكلبي وغيره

محمود محمد شاكر



تأملات فى الفن

العب يا ميمون العب !

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— من هذا الذى معك ؟ يا أمَّـه ! قرد ؟

— نعم . واحد من أبناء عمك ميمون . أبوك آدم رقاه الله ، وأبوه هو استحسن أن يظل يلعب ، فظل يلعب

— لعبت عليه نفسه ! وأين لقيت ابن عمك أنت هـذا ؟ وإياك أن تكون قد دعوته إلى مكث طويل هنا ؟

— ليته يقبل ... إنما هو مرتبط بخمسة أصدقاء استأذنهم وجاء يحييك ثم يعود إليهم عند الباب

— أبالباب خمسة قرود غير هذا ؟ لِمَ لَمْ تقل لى إن أسرتك الكريمة هاجرت إليك فكنا نوسع لهم بيتنا نزلاً ؟

— ربما لم يكن هؤلاء الزوار جميعاً من الأهل وربما كانوا ! أولهم على أى حال أخ من بنى آدم ، وثانيهم حمار ، وثالثهم جدى ، ورابعهم كلب ، وخامسهم أوزة

— أعز الأهل ، أنعم بهم وأكرم . تعال نستقبلهم وهات ابن عمك ، فمنذ سنين وأنا لم أر أسرة كهذه ، وكنت أراها وأنا طفلة وأسر وأضحك ؛ ولكن لم أكن أتوقع يوماً أن تنسب إلىّ أو أن أنسب إليها ... لا أنا ولا أنت

— تعالى ! ها هى ذى الأسرة . أنظرى إلى كل فرد من أفرادها وقولى لى : ما هو ؟ لا تقولى هذا قرد وهذا حمار ، فإنى أعرفك تعلمين أسماءها ، وإنما أريد أن أراك هل تعرفينها هى أو أنك تجهلينها كما كنت أجهلها أنا حتى عرفنى بها صاحبها هذا الغجرى الذى يقودها ؟

— وماذا قال لك أكثر من أن الحمار حيوان من ذوات الأربع له أذنان طويلتان وصوته منكر وهو يستخدم فى حمل الأثقال ...

— هذا كلام يصفون به قشر الحمار للتلامذة ، ولكن هذا الغجرى يعرف عن الحمار مثلما يعرف عنه حمار مثله

— وأنت يا هنيئاً لك أخذت عنه هـذا العلم ··· انهق لى به انهق ...

— لا بأس . ولكن ألا ترينه واجباً أن نرى الغجرى قبل أن نرى القرد والحمار ؟

— وهل فى الغجرى شىء يرى وهو ليس فى غيره من الناس ؟ رجل مسكين يحتال على الرزق بتلعيب الحيوان

— وكم فى الناس القادر على تلعيب الحيوان ؟ إن الإنسان ليستعصى عليه أن يلاعب نفسه . ومن استطاع ذلك فهو الفنان

— فكل حيوان من هؤلاء فنان ، وهذا الغجرى بينهم مثل سيسيل دى ميل أستاذ على الممثلين والممثلات ···

— هذا التشبيه صحيح لولا أنه معكوس . فسيسيل دى ميل هو الذى يحاول أن يكون فى عمله كهذا الغجرى ولكن أنى له ذلك إلا إذا عاش عيشة الغجرى ، وكم قلد الغجرَ أفراد من أهل الفن فكان كل منهم كالمسخ ما لم تكن فيه طبيعة الغجر يسترسل بها فى الحياة استرسالهم . ولا بد أن تكون قد رأيت واحداً من هؤلاء الذين ينفشون شعرهم ويطلقون لحاهم ، ويهدّلون ثيابهم

ويعربدون فى الأرض سكارى مستذئبين على أنفسهم وعلى الناس قائلين إنا نحن بوهيميون . هؤلاء هم الذين يقلدون الغجر كما أن من أهل الفن من تضطره الحياة إلى أن « يغجر » نفسه فإما أن يكون غجرياً فى فنه وإما أن يتزلق فيكون غجرياً فى سلوكه مع الناس فيحتال على رزقه كما يحتال هذا الغجرى بتلعيب نفسه ، وتلعيب عشرائه ، فهو محتال بارع ممن يعرفون كيف ينطبقون على الفريسة ومن أى مدخل سهل ضعيف يتسللون إلى نفسها ، وأى لسان من الألسنة المسولة يعجبها ، وأى شكل من الأشكال المنمقة المزوقة يرضيها ، وأى مطلب من المطالب تنزع إليه ، وأى شيء يسرها وأى شيء يغضبها ، وأى كلمة تثيرها وأى كلمة تردها إلى هدوئها ، وأى إشارة تحفزها ، وأى إيماءة تثبط همتها إلى غير ذلك مما تمكن الغجر منه وأتقنه معهم الكهان من الناس ، والمتكاهنون .

— فالغجر كهان ؟

— هم أبرع الكهان إذا أرادوا ، ولكنهم كمنما ميمون استحسنوا لأمر ما أن يلعبوا وما زالوا يلعبون ، ولو أنهم أرادوا أن يفتكوا بهذه الانسانية لفتكوا بها وسلاحهم ما يعلمون من شئون النفوس وأمورها ، ولكنهم يؤثرون على هذا أن يفروا من البشرية إلى صرحهم وغنائهم ورقصهم ، فهم لا يلمون بالناس إلا حين تعوزهم حاجة ، فعندئذ ينزلون على الناس ليأخذوها ، وهم آخذوها إن أباحها الناس لهم أو منعوها ، وهم آخذوها إن حللتها الشرائع أو حرمتها ، لا يستطيع إنسان أن يردهم ، ولا أن يمسكهم بها ، ولا أن يستردها منهم ... غجر أولاد شيطان ...

— وهذا الشيطان عمنا هو أيضاً كمنما ميمون ؟

— لا ، بل إنه خالنا أخو أمنا حواء الذى قال لها : رَجُلك خواف ، رجلك ضعيف ، شحيح إن أطعمك ما أطعمك ، فإنه يضن عليك بالتفاحة ... يا حلاوة التفاحة !

— صحيح ، إن فى عينيه بريقاً كما نلمع عيون الشياطين ... إعطهم شيئاً وتعال ...

— أنظرى إليهم وهم ذاهبون يحيطون به ... الحق أنه ما فى الأرض من يمثل سيادة الانسان على بقية الخلق كهذا الغجرى ، والغجر جميعاً ، فهم البقية الباقية من الناس الذين كانوا يعاشرون الأرواح ويأتلفون بها قبل أن تهيم البشرية حباً بالحديد والحجر ، هؤلاء الغجر لهم أحاديث فى كيمياء النفوس أعجب من العجب ، ليت علماءنا يستمعون إليهم ويحاولون تحقيق أحاديثهم ...

— وما كيمياء النفوس هذه أيضاً ؟ ...

— هذا بحر فيه ماء وملح يلقى الشمس فيتبخر منه الماء ويبقى الملح ، ويصعد الماء إلى السماء بخاراً ، فيلقى البرد فيرتد إلى الأرض ماء حلواً ليس فيه ملح ، ويجرى على الأرض فى هضاب ووديان ويسرى فى النبات والحيوان والإنسان ، وفى الأحجار أيضاً يسرى ، ويتبخر منه عندئذ بعضه ويبقى بعضه ، ويعود منه إلى البحر بعضه ويضيع منه فى الخلائق بعضه ... هذا البحر ...

— معقول .. فكيف يقيس الغجر النفوس بهذا المثل ؟

— هم يقولون هذا إنسان . فيه نفس وجسد . يلقى الحياة وما يزال يتلقاها حتى تتبخر نفسه ويظل جسده فى الأرض ، وتصعد نفسه إلى السماء فتجد حجاباً فترتد إلى الأرض تبحث عن قوة تمكنها من خرق هذا الحجاب إذا عادت مرة أخرى إلى السماء وهذه القوة فى قولهم تواتى النفس بالتطهر والتلطف ، والتطهر والتلطف يجيئان فى قولهم بالتدريب . فإذا كانت نفس إنسان قضت حياتها الأولى ثائرة ساخطة وتبخرت وهى ثائرة ساخطة فثقل بها السخط وثقلت بها الثورة عن خرق الحجاب عادت إلى الأرض تتعلم الصبر والرضى فإذا أسعدها الحظ صادفت غلافاً حاراً ينحدر إلى الدنيا فحلت فيه ، ونزلت به إلى الدنيا تقضى حياة كلها صبر وكلها احتمال وهوان ... ورضا ، وبهذا إذا تبخرت هذه النفس مرة أخرى خفت أكثر من ذى قبل ، وربما استطاعت أن تخرق الحجاب وأن تمضى إلى عالم غير هذا العالم ، وربما عادت إنساناً أو حيواناً أو شيئاً مما يخلق الله ويعلمه ونحن لا نعلمه ...

— ولكن هذا القياس فيه فارق . فهم قد حولوا الإنسان إلى غير الإنسان بينما مثلهم الذى يقيسون عليه يحفظ الماء ماء مهما تعددت أشكاله

— فلنصلح لهم نحن هذا المثل فهم لم يتوفروا على كيمياء المادة مثلما توفروا على كيمياء النفس ، ولست إخالك تنكرين أن الذى يقولونه عن تحولات النفس يشبه الذى يقوله علماء المادة عن تحولاتها ، ولست إخالك تتركين هذا التشابه يمر بك من غير أن تسجليه على الأقل ، أما أنا فإنى لا أكتفى بتسجيله فى ذهنى وإنما أربط بعضه إلى بعضه وإن كنت إلى الآن لا أدرى مثلما قد يدرون هم أى شيء سأربطه بعد ذلك فى هذين السببين وإلى أين سأصل بعد هذا الربط ...

— إلى ... « العباسية » من غير شك

— حتى إذا وقفتك مني على أوجه الشبه بين الذي يقوله الغجر وبين الذي يقوله علماء المادة

— إن وقفت معك فأنا أيضاً في حاجة إلى علاج للرأس .

— العلاج على أي حال خير من إهمال المرض . إسمعي . ألا يقول علماء المادة إن هذه الأرض كلها تتشعع وتريد أن تتلاشى في الفضاء ؟ ألا يقولون إن لهذه الأرض غلافاً من الأثير وهو مادة ولكنه أخف من المادة وألطف منها وأشد شوقاً إلى التشعع والذهاب ؟ ألم يكتشفوا أخيراً عناصر من المادة لا تزال نادرة جداً وهي أقدر المواد على التشعع والتطاير ؟ إن هذه المواد هي أرق ما في الأرض مادة ، وهي أخف العناصر وألطفها ، وهي لا تزال نادرة لأنها طلائع الدور الجديد الذي بدأت مادة الأرض تدخل فيه ، والأرجح أن الأرض جميعاً ستتحول على مرور الدهور إلى هذه العناصر الخفيفة اللطيفة المتطهرة حتى تصل عندئذ إلى ما تتوق إليه من الخلاص من هذا الوضع وهذا الشكل إلى سياحتها الجديدة في الكون . وإذا كان الماء هو أكثر ما في الأرض اليوم ، والراديوم (مثلاً) هو أقل ما فيها ، فالماء إذن هو الحلقة الأولى من حلقات الحياة المادية في الأرض والراديوم هو الحلقة الأخيرة بحسب ما نرى ... أو قولي إن الأثير هو هذه الحلقة الأخيرة ... ثم قولي إن ما بين الماء والأثير من الخلائق المادية إن هو إلا تشكلات وتطورات وتحولات تنزع بها المادة إلى الانطلاق . وقيسي على ذلك النفوس كما يقيسها الغجر ، ولست أطلب منك ولا من نفسي أن نعرف ما يعرفون هم إذا نظروا إلى إنسان ماذا كان قبل أن يكون إنساناً ، وماذا سيكون . فهم يدعون أنهم يعلمون هذا بالنظرة ، ولست أستطيع أن أنكر عليهم قولهم ما دمت أرى في علماء المادة من ينظر إلى الحجرة فيقول كانت شجرة وستصبح بعد قرون فحمة . فلماذا نقبل كلام علماء المادة هؤلاء ولا نقبل كلام الغجر ؟ ألأنهم غجر ؟ نحن الذين دعوناهم غجراً ، أما هم فيعتبرون أنفسهم أصحاب هذه الدنيا يذرعونها من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال لا يخضعون إلا لقوانين الطبيعة الخالدة ، ولا تفسد أنفسهم غيرها من القوانين المصنوعة التي وضعها العقول بحساب بعد أن نسيت أول قوانين الحساب وهو أنه لا بدء ولا نهاية ، وبعد أن نسيت كذلك أن لكل حساب حساباً يعطله حتى لقد بطل عمل الحساب وصار هذا البطلان هو أساس الحساب بغير حساب ..

— على هذا الأساس أستطيع أن أستمع منك إلى كلام الغجر ، فلا تحسب أني سأقتنع به ، فدون ذلك تشمع عقلي وطيران منطقي وتفكيري ، ودعني الآن أسألك على سبيل العبث والفكاهة لا أقل ولا أكثر : أي نفس كانت نفسي قبل هذه الحياة ... وأي نفس ستكون ؟

— أنت ؟ لا أدري ، ولكني أعرف واحداً كان إوزة وسيكون حماراً

— من هو ؟

— مالك أنت وماله ؟ وإنما قولي : كيف هو ، فأقول لك إنه كلما اطمأن إلى الحياة تمكن منه البله ، فهو يلعب في الأرض ويلعب في الماء ويحب كل شيء ، ولكنه لا يكاد يعطي من نفسه شيئاً لأحد إلا أن يجد عنده لذة ، وهو غر يصدق كل ما يحيط به ، ومن سقاه شربة ماء استطاع أن يذبحه ؛ وهو إلى جانب هذا رعديد خواف ، لأنه يعرف أنه عاجز عن رد الأذى بأذى ... كالإوزة ... له هذه الأخلاق والطبائع من نشأته فلعلها كانت طبعه الأول ، ومن عرف فيه هذا تمكن منه ولعب عليه ما شاء أن يلعب وقد لعب عليه ناس كثيرون حتى كاد أن يذبح مرة ؛ وإني أقول لك إنه سيكون حماراً ، لأني أراه إذا أفاق إلى نفسه أخذها بالصبر وبالرضا والاحتمال ، فلعله إذا تمكن هذا منه كان أصلح البشر « للحمارية » في حياته المقبلة ، ومن يدري فربما اكتفى القدر منه بصبره في هذه الحياة ، وطهره في حياته المقبلة من نقائص أخرى غير بادية لي فيه الآن ، فكان عندئذ أخف ، وألطف ، وأظهر مما عرفناه الآن ، وكان عندئذ أصلح للبقاء في أثير الأرواح انتظاراً لموكب من نوعه يلحقه فيدفعه في فضاء الله إماماً لمن يتبعه ومأموماً لمن سبقه ... من يدري ؟

— لا أحد، ولا أنت، ولا الغجري.. ولكن هذا الكلام يشبه ما يقوله الهنود عن تناسخ الأرواح فهل أصل الغجر هؤلاء من الهند؟

— الموجة البشرية المشرفة على غرب أوربا كلها أصلها من الهند

— ولكنك لم تقل لي ماذا كنت أنت ؟

— يقول داروين إن الناس كانوا قردة ، ويقول القرآن إن من الناس من ردهم الله قردة ... وإني أقبل القولين في حق نفسي وإن كنت لا أصدق فيك أنت قول داروين ...

عزيز أحمد فهمي



أفق جديد

الكهرباء والضوء يلتقيان

للدكتور محمد محمود غالى

أزمة الأثير — فاراداى والكهرباء — نبوءة ماكسويل — أعمال هرتز — «برانلى» يخترع اللاسلكى ويموت محتمياً من اختراعه

لو أننا أعدنا اليوم مطالعة الصفحات المجيدة التى خطها فْرِنِل Fresnel وهيجانز Huyghens ، ووقفنا عند هذا القدر دون متابعة التطورات العلمية ، لأيقنا أن البناء الذى شيّداه لا يمكن أن يعتوره خلل ، ولو أننا جلنا فى الوقت ذاته فى الهيكل الرياضى الذى شيده « نيوتن » العظيم ، واشترك فى إقامته « أيلر » L. Euler ولاجرانج J. Lagrange ، لأدركنا فى غير عناء لماذا طبق فُرِنِل الميكانيكا النيوتونية فى تفسير الظواهر الضوئية الدقيقة ، التى اعتبر أنها ذبذبات حادثة فى وسط من افترضه افتراضاً ، ولكن تجربة « ميكلسون » تقف عقبة فى طريق التقدم فى هذا السبيل ، وتتطلب من الباحثين تفسيراً يختلف والميكانيكا النيوتونية .

إن أرضاً تجرى حول الشمس بسرعة كبيرة تحمل مصباحاً والمصباح يرسل فى طريق سير الأرض شعاعاً ضوئياً كما يرسل فى طريق عمودى على الطريق الذى تسير فيه الأرض شعاعاً له طبيعة الأول وسرعته ، وهذان الشعاعان يعودان فى اللحظة ذاتها إلى النقطة التى خرجا منها ، فى وقت لم تكف الأرض فيه عن الجرى فى مستقرها الأبدى حول الشمس ، لأمر لا يسيغه عقل ولا يقبله منطق ، إذ كيف لا يحدث رغم رحلة الأرض المستمرة وسرعتها الملحوظة ، أى فارق فى الوقت لمسافرين لهما فى الواقع ظروف مختلفة ؟ كان لا بد من طرق أبواب جديدة فى التفكير للاجابة على ذلك . ولقد كان للنظريات الكهربائية شأن فى هذا الميدان الأثيرى ، ولندع الآن هذه الأزمة جانباً ، لننعم النظر فى أمر جديد . ذلك أن الضوء الذى يتموّج على النحو الذى ذكرناه هو جزء من الكهرباء[1] ، وإدماج الجزء فى الكل يحتم علينا أن نعرف شيئاً عن خواص الكهرباء ، وسيرى القارئ أنه بمعرفتنا هذه الخواص ، ينتفى السبب فى افتراض وجود هذا الوسط الأثيرى ، ولعل هذا التفكير الجديد يكون خطوة لازمة قبل أن نعرض عن الميكانيكا النيوتونية ، ونستعين بميكانيكا جديدة لا نيوتونية ، نفهم بواسطتها الكون على شكل أكثر وضوحاً من الشكل الذى نعرفه له .

* * *

عند ما يَهم عامل لإصلاح خلل فى الشبكة الكهربائية فى منازلنا قد لا يفوتنا أن ننبّهه ليتخذ الحيطة لنفسه ، ذلك أننا نعلم أنه يكفى أن يلمس العامل خطأ طرف أحد الأسلاك المكهربة لكى يفقد حياته ، ويصبح بين طرفة عين وانتباهتها فى عداد الأموات ، ولو أن العامل الذى يلمس السلك الكهربائى كان ممسكاً بيده الأخرى واحداً أو أكثر من زملائه ؛ فإن جميع المتصلين به يفقدون حياتهم فى اللحظة ذاتها ، وقد حدث أن قُضى على ثلاثة أشخاص العام الماضى فى حى بولاق بالقاهرة بلمس أحدهم سلكاً كهربائياً . بيد أننا نشعر بالطمأنينة لو اقترب العامل من السلك دون أن يمسّه ، إذ أننا واثقون بأنه فى هذه الحالة لن يُصاب بأذى ، كما أننا واثقون بأنه لا يشعر عندئذ ولا يشعر من بجواره بوجود الكهرباء بمجرد الاقتراب من الأسلاك الحاملة لها ، ولهذا بالطبع أثره فى اعتقادنا أن الكهرباء سارية فى الأسلاك لا تتعداها إلى خارجها

ومع ذلك وبالرغم من مقدرة الجسم الإنسانى على الإحساس بالكهرباء بلمسها فإنه لم تكن أجسامنا يوماً ما أجهزة لائقة للتعرف على المحيط المتأثر بها ، وكما أن العين ليست الوسيلة الوحيدة لمعرفة الظواهر الضوئية ، كذلك اللمس ليس الوسيلة الأولى والأخيرة لمعرفة الظواهر الكهربائية ، فلقد كانت هاتان الحاستان فى حاجة لوسائل أخرى يتسنى لنا بها استجلاء هذه الظواهر

---

(١) نستعرض القارئ الآن أمراً ذكرناه له فى مقدمة هذه المقالات عن الكون التى بلغت اليوم الأربعين مقالاً ، فقد نوهنا له فى المقدمة بأن الكهرباء هى الضوء وفق التفكير الحديث .

في صورة أدق من تلك التي نعرفها لها ؛ ولقد تقدمت الوسائط الطبيعية في معرفة الظواهر المختلفة حتى باتت حواسنا الخمس وحدها في المرتبة الأخيرة لمعرفة حقائق الكون

إنما نروم من هذه الأسطر أن نلفت نظر القارئ إلى عبقرية « فرادای » M. Faraday الذي أدرك أن الكهرباء غير مستكنة في الأسلاك فحسب، وإنما في الفضاء المحيط بها أيضاً ، فقد لاحظ أنه يمكن لكرة متصلة بمنبع كهربائي ذي ضغط عال أن تجذب كرة صغيرة معزولة موضوعة بالقرب منها ، واستخلص من هذا أن الكهرباء كائنة في الفراغ المحيط بالكرة . ولقد لاحظ « فرادای » أنه بتقريبه إبرة ممغطسة من دائرة كهربائية تدور الإبرة حول محور دورانها



صورة «فرادای» مأخوذة من المتحف البريطاني مؤسس الكهرباء ، رجل كمثل الرجال ولكنه كشف عن أهم ما ورث الانسان من معرفة

ما أسعد العالم بهذه المشاهدة الأخيرة لفرادای ، وإذا كانت مركبات الكهرباء تجوب المدن الآن بسرعتها المعهودة ، وإذا كان المصعد يعمل في عماراتنا بالاملاق طول اليوم صعوداً وهبوطاً ؛ فما هذا أو ذاك إلا تطبيق مباشر لمشاهدات فرادای التي قصها لقرينته في يوم من أعياد الميلاد، ومات فرادای ولم يستمتع بركوب الترام ولم يشاهد المصعد ، وهكذا نظر الباحثون من عهده إلى الكهرباء لا كامنة في الأسلاك فحسب ، بل كمجال حولها أيضاً

أما اليوم فشد ما تتابعت الطفرات العلمية ؛ ولم يعد القارئ بحاجة ليستحضر إبرة ممغطسة ليرى آثار الكهرباء عن بعد ، بل إنه يشاهد ذلك في تجاربه اليومية . من منا لم يشعر وهو يجوب بسيارة عرض المدينة بالتأثيرات المختلفة التي تحدثها أسلاك الترام على « الراديو » الذي أصبح في السيارات الخاصة في مصر والعامة في أوربا من دواعي الرفاهية ؟

وقد يتساءل القارئ مالنا والالتجاء إلى هذا الموضوع الذي يعد من أبدع ما وصل إليه الإنسان في التقدم ولم ننته بعد من حل الأزمة العلمية الكبيرة التي ذكرناها له وشغلنا ذهنه بها في مقالات متواصلة ؟ وهو بهذا التساؤل لا يرى صلة بين الظواهر الكهربائية وما ذكرناه من عدم استساغة الفكرة الأثيرية بعد تجربة « ميكلسون » ، ولكننا لم نذكر مشاهدة « فرادای » عبثاً ، فلم يكن اتجاهه التجريبي ليمر دون أن يفيد منه البشر ، فقد تناول « مكسويل » J. Maxwell الإنجليزي مشاهداته ، ووضع نظريات هامة أصبحت بعده أساس الدراسة لأهم الظواهر الكهربائية ، ولم يكتف « مكسويل » بتفسير الظواهر التي شاهدها الإنسان حتى عهده بل كان واثقاً من طريقه الرياضي وثوقاً جعله يتنبأ بظواهر أخرى لم تكن قد اكتشفت بعد ولم يكن قد دل عليها في زمانه العلم التجريبي ، ذلك أنه استنتج من معادلاته الأساسية مجموعة أخرى من المعادلات أثبت بها أن الكهرباء تنتشر في الفراغ بحالة موجية ، وبهذا تنبأ بوجود الموجات الكهربائية ، ولم يكن في عهده سبيل لإحداث هذه الأمواج والتثبت من صفاتها على هذا الشكل الموجي ، ولكن « مكسويل » اعتبر أنها موجودة ، واعتبر أن الموجات الضوئية ليست إلا أمواجاً كهربائية

من هنا يدرك القارئ لماذا نذكر الكهرباء مع الضوء الموجي وقبل أن نفسر كيف ساعدت هذه الخطوة الجريئة من « مكسويل » العلماء على التخلص من الأثير الذي افترضوه افتراضاً نذكر أولاً النتائج التجريبية العظمى التي خلص بها العالم من تفكير مكسويل الرائع ومن أداته الرياضية البديعة .



صورة «ماكسويل» مأخوذة من المتحف البريطاني، وهو الذي تنبأ باللاسلكي بمعادلاته الرياضية الشهيرة

ولقد كان لهرتز (Heinrich Hertz) الألماني الفضل الأول في الحصول على موجات كهربائية غير متصلة بموصل كهربائي ، وتخترق الفضاء ، واستطاع أن يعاملها كما نعامل الأشعة الضوئية فيعكسها مثلاً كما نعكس هذه الأشعة ، واتجه كثير من الباحثين إلى دراسة هذه الناحية للأمواج الهرتزية ، أو لم تتجه « ماري سكلودوفسكا » ذاتها المعروفة باسم مدام « كيرى » شطر الأمواج الهرتزية قبل انشغالها بالنشاط الإشعاعي ، وكشفها للراديوم ؟ . إننا نعرف أنها حاولت أن تتخذ لها مكاناً في معامل الأبحاث الطبيعية في السوربون التي كان يديرها في ذلك العهد « ليبمان Lippmann » المعروف بكشفه لفوتوغرافية الألوان ، ولم يكن المكان ليتسع للأجهزة التي أرادت أن تستخدمها في بحثها ، فاتجهت الطالبة البولونية شطر العالم « بكارل » في الوقت الذي كشف فيه أشعة الأورانيوم ، ولا نسرد الوقائع التي يعلمها كل من تابع مقالاتنا[1] ، وما كان من أمر هذه الفتاة بعد ذلك فيما أوتيت من حظ في بحثها الموفق ، فقد خرجت على العالم بالراديوم سنة ١٨٩٧ ، وقبل ذلك العهد اتجه « برانلي Branly » الفرنسي سنة ١٨٩١ عن غير قصد نحو الأمواج الكهربائية بدراسة طبيعة الكهرباء ، ففاز بالكشف عن اللاسلكي ؛ وكرت السنون وتقدم « برانلي » و « كيرى » لعضوية المجمع العلمي الفرنسي ، وفاز « برانلي » وخُذلت « كيرى » . أو كان فيما قدمه « برانلي » للعالم ما جعل نصف هؤلاء الذين يسمونهم الخالدين يعرضون عن أعظم امرأة عرفها التاريخ؟ هذا ما سيدركه القارئ في هذه السطور

* * *

ليس المجال هنا لنشرح للقارئ جهاز « الراديو » ، وسنعمد إلى ذلك عند ما ننتهي من قصة العلم الشائقة ومن سرد التطورات التي حدثت في معارفنا عن الكون ؛ ولكنا نوجز هنا من الخطوات التجريبية ما له علاقة بحديثنا ، وهي خطوات كانت إلى حد كبير أساساً للانتشار الموجي الكهربائي

درس (برانلي) الضوء البنفسجي المنبعث من الشرارات الحادثة من « زجاجات ليد » Bouteilles de Leyde ، وتوصل من هذه الدراسة إلى ما يسمونه اليوم التفريغ الموجي المكثف الكهربائي فتوصل في الواقع إلى عمل مرسل اللاسلكي ، ولقد وضع « برانلي » في حجرة مجاورة للحجرة التي كانت بها زجاجات « ليد » « جالفانومتراً »[1] ذا مرآة ، وكان يستخدمه في دراسة المقاومة الكهربائية للوحة زجاجية مغطاة براسب من البلاتين



الأستاذ « برانلي » عضو المجمع العلمي الفرنسي مخترع اللاسلكي توفى هذا الشهر تاركا وراءه أعجب ما عرفه الانسان

وهي دراسة لا ترتبط في شيء ما بدراسة الشرارات الحادثة في الحجرة المجاورة وقد حدث في ساعة كان « برانلي » قريباً من « الجلفانومتر » بينما كان أحد مساعديه يشتغل على زجاجة « ليد » في الحجرة المجاورة . أن رأى « برانلي » رأي العين حركة فجائية مريعة في « الجلفانومتر » لفتت نظره ليدرس السبب في تغيير التيار في هذه اللحظة التي لم يعمد فيها إلى تغييره ، وبالاحرى أراد أن يعرف لماذا تغيرت المقاومة الكهربائية لهذه القطعة من الزجاج المغطاة بالبلاتين دون أن يسبب هو هذا التغيير . هذا البلاتين توزع بشكل معين وتجمعت جسيماته بشكل خاص كما تتجمع أو تنتظم البرادة الحديدية عند هزها ، وقد فهم « برانلي » أن ثمة علاقة بين هذا الحادث وحادث التفريغ الكهربائي في الحجرة المجاورة . وبهذا توصل إلى اختراع أول نوع من المستقبل اللاسلكي يسمونه جهاز التماسك Cohereur . وبذلك يكون قد اخترع هذا العالم المرسلَ والمستقبِل ، واستطاع بهما أن يرسل ويستقبل لمسافة تزيد عن ٢٠ متراً وخلال الجدران الإشارات المنبعثة من دائرة كهربائية باعثة ، وقد نشر « برانلي » كشفه فعُرف في أنحاء أوربا ،

(١) مقالنا بالرسالة بعنوان مدام « كيرى » العدد ٢٨٦ المنشور في ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ص ٢١٠١ — ٢١٠٤

(١) الجلفانومتر جهاز لقياس التيار الكهربائي

وتطلب الباحثون الحصول على نتائج أهم من التي وصل إليها

ولقد كان الفضل في سنة ١٨٩٩ – وبعد عشرة أعوام من تجارب برانلي الأولى – لماركوني الإيطالي في أن يبعث بإشارات تلغرافية لاسلكية تعبر بحر المانش ، فبعث بأول رسالة إلى « برانلي » نفسه ، مشيراً بذلك إلى فضله الأول في الكشف عن اللاسلكي

وشاء الزمن للرجل الذي كشف جهاز التماسك أن يظل حياً حتى اليوم الذي رأى فيه رأى العين « التليفزيون » (١) ؛ وهذا يجعلنا نفس السرعة الخارقة التي تقدمت فيها الكهرباء الموجية في الأربعين سنة الأخيرة

من كان يدري – عند ما عرف « أراجو » و « أمبير » و « أرستد » Œrstedt آثار التيار الكهربائي لمسافة قريبة ، وعند ما تنبأ « ماكسويل » عن آثاره لمسافات بعيدة – أن سيصل الإنسان في فن الراديو للحد الذي وصل إليه اليوم ؟

من كان يدري أن سيصل « ماركوني » و « فرييه » Ferrié و « فلمنج » Fleming إلى اختراع الصمام « اللمبة الألكترونية » العجيبة فأتوا بها الأعمال الأولى والعظيمة للاسلكي

أما « برانلي » فقد عاش فقيراً يلقي دروساً لطلبة « البكالوريا » وفي الأيام الأخيرة أنشأ المعهد الكاثوليكي معملاً له ، وهو معمل مغطى في أجزائه بطبقة من النحاس ، فهو بذلك معزول تماماً عن الذبذبات الكهربائية الموجودة في أنحاء المدينة ، تلك الذبذبات التي كانت تؤثر على أجهزته الدقيقة ، فقد كان يعتقد في سنيه الأخيرة الإذاعات اللاسلكية المستمرة التي تمنعه عن مواصلة أبحاثه ، وحبس نفسه في ذلك القفص النحاسي لينجو من آثار كشفه الأول إلى أن وافتنا الأنباء بوفاته في الشهر الحالي عن ٩٦ عاماً .

***

وأستميح القارئ عذراً في سرد جزء أصبح في الواقع بعد وفاة « برانلي » من أبواب التاريخ ، فقد ذهب « برانلي » للتاريخ يحكم على أعماله ، ولكن العمل الذي قدمه يستحق منا أكثر من هذه السطور

وسأحدث القارئ في المقال القادم عن سبر العلماء لمراحل الإشعاع المختلفة من الراديو إلى الأشعة النافذة مشيراً إلى عمل « لويه » Max Laue وسيرى القارئ من كل ذلك أن الضوء والكهرباء أمواج كونية واحدة ، بحيث لو أننا فقدنا البصر لأمكننا أن نعرف الموجودات ، وسنطلعه على شيء يدور بخلدنا ، ولمناسبة ما نخوض فيه الآن ، عن احتمال قد يكون لصفات الأحياء التي لا زالت فرضية والتي قد تكون موجودة في الكواكب الأخرى . هذه تأملات تبدأ تأملات ، ولكنها تصبح برنامجاً للقارئ نحدثه عنه قبل أن نحدثه عن الضوء كمادة في الوجود ، وقبل أن نشرح له نوع التفكير الجديد للعالمين الكبيرين لورانتز وأينشتاين .

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

(١) كان لصديقنا بيلان الفرنسي الفضل في اختراع نقل الصور الفوتوغرافية باللاسلكي ، وكان لبيرد الانجليزي الفضل في اختراع التليفزيون ، وقد شاهدنا التليفزيون لأول مرة في معرض اللاسلكي « بالجراند باليه » بباريس حوالى صيف سنة ١٩٣٢ ، فقد عرضوا عند ذلك مشاهد لعمال الورش الكائنة في حي مونت روج، في الوقت الذي يقومون فيه بأعمالهم.



عيد الربيع

للأستاذ محمد سعيد العريان

منذ عام لم تكن « نُضار » في مثل حالها اليوم ... شتان بين ما كانت وما صارت !

ها هي ذي تخرج اليوم من محبسها الذي اعتزلت فيه الناس أشهراً لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر العابرُ العجلان إلى تمثال قائم في عرض الطريق !

لم يكن ثمة ما يربطها بالناس بعد ما مات أبوها وهجرها خطيبها ؛ فما شأنها وشأن الناس وما ترجو منهم وما يرجون ؟

لقد عرفت من طباع الناس وهي معتزلة بعيدة أكثر مما كانت تعرف وهي تخالطهم وتعيش بينهم ؛ وكذلك لا تتكشف حقائق الأشياء لمن يراها إلا على مبعدة !

* * *

منذ عام مات أبوها ، وما كان لها في الحياة غير أبيها وغير خطيبها « رشيد » ، وكانت تعيش من بيت أبيها في نعمة سابغة وظل وارف ؛ ولم يكن لأبيها — منذ ماتت زوجُه — غاية يسعى لها غير إسعاد ابنته ؛ فقَصَر عليها عواطف قلبه ونوازع وجدانه وعاش لها ، لا يرى لنفسه حقاً في متاع من متاع الرجال ما دامت ابنته سعيدة !

وكان لأبيها وظيفة ذات أبهة ومظهر ، وكان لها جمال يفتن ويسحر ؛ فتهافت الشبان على التماس رضاها والحظوة عندها ، ولكن فتى واحداً هو الذي استطاع أن يحملها على الإذعان والرضا ؛ وعرفها رشيد وعرفته ، وعرفه أبوها ، وتواعدا على ميعاد تنتقل فيه « نضار » من بيت أبيها إلى بيت رشيد !

... وعاشت حيناً سعيدة بأحلامها ، لا يشغلها همٌّ من هم الحياة واستيقظت فجأة من أحلامها حين وجدت أباها مُسَجًّى في فراشه والطبيب بجانب سريره ناكس الرأس أسوان ؛ ورأت في عيون الرجال من عُوّاد أبيها دموعاً تترقرق ، فصرخت في لهفة : أبي ... ! وتلاشى الصدى ولم تسمع جواب أبيها ... ودنا منها خطيبها يواسيها وفي صوته نبرة حزن ، ولمت دمعة بين أهدابه فأطبق جفنيه ولوى وجهه ...

وخرج أبوها من الدار إلى غير مَعاد ، وخرج خطيبها يشيع الجنازة فلم يعد ، ولبثت الفتاة وحدها تنتظر ...

وخرس جرس الباب فما عاد يستأذن عليها أحد ... وما عادت تسمع خفق أقدام أبيها عائداً من الديوان بعد الظهر ، ولا صوت نداء خطيبها قادماً لزيارتها في المساء ؛ أما أبوها فإنها تعلم أين ذهب ، وأما خطيبها ...

بلى ، لقد عرف رشيد من شئون صاحبته ما لم يكن يعرف .. فاتخذ طريقاً غير الطريق التي كان يسلكها كل يوم ، وماذا يحمله على الزواج من فتاة ليس لها جاه من أهل ولا غنى من مال ، وهو لو شاء لوجد عند غيرها الجاه والمال والسعادة ... هكذا قالت له نفسه ، فمضى وخلّفها ... !

لقد كان أبوها هو كل ما تملك من غنًى وجاه ، وقد مات أبوها ، فما ذا بقي ؟

ومضى شهر ، وراحت نضار تقبض « المعاش » الشهريّ الذي فرضتْه لها الحكومة بعد موت أبيها ... وعادت وفي يدها ثلاثة جنيهات ... ذلك كلّ ثروتها ، وكلُّ العِوَض من أبيها الذي مات !

وفي اليوم التالي كانت عربة نقل كبيرة تحمل متاعها من البيت الذي عاشت فيه هي وأبوها ما عاشت ... إلى غرفة مفردة على سطح بيت كبير من بيوت الحي ؛ وكانت الخادمة تحمل صُرّةَ ثيابها ذاهبة ...

وتغيرت منذ اليوم عيشةُ نضار ، وانقادت صاغرة لما فرضتْ عليها الحياة !

ولزمت غرفتَها على السطح ، لا تفارقها إلا لحاجة ، واعتزلت الناس لا تراهم ولا يرونها إلا كما ينظر العابر العجلانُ إلى تمثال قائم في عرض الطريق !

ومضى عام ... وها هي ذي اليوم تفارق محبسها لغير حاجة ، تلتمس جديداً في حياتها المملولة الجافة التي تحياها منذ مات أبوها ...

* * *

اليوم عيد الربيع ... وقد خرج الناس من بيوتهم جماعات مبكرين إلى شاطئ النيل ، وإلى حدائق الجزيرة ورياض الجيزة والقناطر الخيرية ، يتملَّون جمال الحياة ويتمتعون بما أحلّ الله وما حرَّم من طيبات وخبائث ...

وذكرت نضار ما كان من ماضيها ... مُنذ ذا يراها في مجلسها ذاك على المقعد الخشبي في شارع « مسبيرو » وعليها ذلك الثوب الأسود الحائل ، وفي عينيها تلك النظرة الساهمة ، وفي وجنتيها هذا الشحوب ... منذ ذا يراها في مجلسها ذلك فيعرفها ويذكر ما كانت ... ؟

لقد آثرت ذلك المكان القصيّ الذي لا يطرقه أحدٌ ممن تعرف من سكان الحي ، لتكون بنجوة من عيون الفضوليين ؛ أفكانت تحسب أن أحداً من أهل الحيّ يعرفها حين يراها ، أو يذكرها ؟ ... ولكن فيها بقية من حسن الظن بالناس !

ومرَّت بها مواكب الأطفال في ثيابهم وزينتهم ، يحملون في أيديهم طاقات الزهر ، وينفح من أعطافهم عطرُ الربيع وريحانه ؛ وتتابعت أسراب الفتيات في غلائلهن الوشاة وأزيائهن الفاتنة يتمايلن ضاحكاتٍ عابثاتٍ عبث الصِّبى والدلال ؛ ومضت طائفة من الفتيان في آثارهن يفنون ويتطارحون أناشيد الهوى والشباب والأمل المنشود ؛ وكان على الشاطئ فتيان يقرعان كأساً بكأس ؛ وعلى المقعد القريب فتى وفتاة يتناجيان في همس ؛ ومرت سيارة تتهادى وفيها اثنان يُنشِدان قصة حبّ ... ونضارُ جالسةٌ على مقعدها وحدها ، تسمع وترى وتذكر صوراً من ماضيها ، وذكرتْ فتاها الذي كان ، وذكرت أباها ... في مثل هذا اليوم ... منذ عام ... كانت وكان ... وعادت إلى ماضيها ، واستغرقت في حلم طويل ...

* * *

ومرَّ بها فتى ، وتبادلا نظرتين ، وأطرقت نضار من حياء وعادت إلى ذكريات ماضيها ، وخطا الفتى إليها خطوة ، وكانت على شفتيه ابتسامة ... وفي عينيه نظرةٌ تعبِّر عن معنى ... وقال لها : أنتِ وحدكِ وأنا وحدي ! ...

وتضرمتْ وجنتاها حياءً وغضباً ، وسكتت ؛ وعاد الفتى يتم حديثه ... ونظرتْ إليه ثانية وهمت أن تتكلم ، ثم أمسكتْ ... فليقل ما يقول ثم يمضي لشأنه ؛ ليس ينبغي لمثلها أن تردَّ على مثله ... وخطا الفتى خطوة أخرى فجلس على طرف المقعد ؛ فجفلت الفتاة ونهضت وفي عينيها غضب وسخرية ! ...

واستيأس الفتى فمضى لشأنه ، وعادت الفتاة لشأنها ...

وتعاقبت على عينيها صور ... وترادفت مواكب الفتيان والفتيات ، وتجاوبت أناشيد الهوى والشباب ، ورنّ الصدى في أذنيها ؛ وذكرت فتاها ... وحنّتْ إليه ، واصطرعت في نفسها عاطفتان ، فرضيت ثم سخطت ، وترقرقت في عينيها عبرة ...

* * *

... واتخذت نضارُ طريقها إلى مأواها وفي نفسها ألم ، وإن ضحكات المرح والمسرة تتجاوب حواليها ؛ ومضت تحدّث نفسها وتستمع إليها ، وفجأة برز لعينيها منظر ... هذا رشيد وفتاة معه ، يا ويلتا ! إنه لهو ، وتلك صديقتها « سعدية » وما لرشيد وسعدية ؟ ... وأين وأيان اجتمعا ؟ ... أتراه حين هجرها أبدل بها صديقتها ؟... ولكن سعدية مسماةٌ منذ سنوات على ابن عمها ... أتراها هجرته بعد أن مات أبوه ...؟

وخنقتها عبرة ، ودار رأسها وكادت تسقط ، فاستندت إلى الحائط ؛ وتوارى الفتى وفتاته في زحمة الناس ؛ وثابتْ نضار إلى نفسها ، فاستأنفت السير ؛ وكان فتيان وفتيات يزحمون الطريق مَثْنَى مثنى ، وكأن كل اثنين من نجواهما في خلوة . ومضت تشق طريقها وفي نفسها عواطف تصطرع وتثور ؛ وهتف هاتف في أعماقها : أكلُّ أولئك ... وأنتِ وحدك ...؟

وهمّت أن تعود من حيث أتت ، فتجلس ساعة على المقعد الذي كانت تجلس عليه ، في شارع مسبيرو ، على شاطيء النيل ... حيث قال لها فتًى منذ قليل : أنت وحدك ... وأنا وحدي ... ! فما لها طاقةٌ بعدُ على مثل هذه الوحدة الذليلة ... واليوم عيد الربيع ... !

وَصَرَّتْ أسنانُ الفتاة ، وقمتْ خواطرها ، واستأنفت السير ، وراحت تسائل نفسها : أكذلك الحياة؟ ليتني لم أكن أعلم ... !

* * *

وراحت تصعد السلم درجة درجة وهي تمدّ ، وكان البواب جالساً يهمس في أذن ضيفه ؛ ورنّت ضحكة البواب وصاحبه في أذنيها ، فوقفت واحمرّ وجهها من الغضب ؛ أتراه يحدّث صاحبه عنها ؟ فماذا يقول ؟ ... أم تراه يحسبها فتاة كبعض مَن رأت اليوم ؟ ومن أين له أن يعرف حقيقتها ؟ ...

وما ظنُّ الناس بفتاة عزباء ، تعيش وحدها في غرفة على السطح ، وليس لباب السطح بواب ، تخرج حين تخرج وحدها

وتعود حين تعود ، لا يعرف أحد أين ذهبت ومن أين جاءت ؟

... وتماسكت من ضعف ، واستأنفت الصعود ... وبلغت غرفتها فارتمت على سريرها باكية !

وأخذتها غفوة واستيقظت أحلامها ؛ ولما صحت من غفوتها بعد ساعة ، كانت نظرتها إلى الحياة غير ما كانت ... وما ذا يجديها أن تحرص على التزام الجادة والناس هو الناس ، وكل فتاة عندهم كـكل فتاة ؟

* * *

... وجلست نضار إلى المرآة تتزين — المرآة التي لم تجلس إليها منذ عام مجلس فتاة إلى مرآتها ، ونفضت الغبار عن حقيبتها ، وراحت تبحث فيها عن شيء من تراث الماضي ... وخلعت ثوب الحداد الذي لم تغيره منذ لبسته ... !

وسمعت طرقاً على الباب ... وفتحت ... فابتدرها البواب يؤذنها أن فتى بالباب يسأل عنها ، وابتسم ... وشحب لونها ، وقالت في صوت يرتعش : ما اسمه ؟ وما ذا يريد ؟ ...

ولكن البواب لم يكن يعرف اسمه ولا ماذا يريد ؛ فما كان يعنيه إلا أن يؤذنها أن زائراً يسأل عنها ، ثم هبط مسرعاً ... وأطلت الفتاة وراءه لترى ، ولكنها لم تر ... !

... لقد غشيتها الدموع وحضرتها الذكرى فما تستطيع أن تسمع أو ترى أو ... تفكر !

منذ عام لم يهتف هاتف باسمها ولم يزرها زائر ... فمن يكون هذا الطارق ؟ ...

وعاد إليها البواب برسالة في يده قبل أن تجد نضار جواب سؤالها ؛ وتناولت منه الرسالة بيد ترتجف ، وراحت تقرؤها وهي في طريقها إلى غرفتها ... وسقطت دمعتان على القرطاس في يدها وكانت تبتسم ... ولم تفطن إلا بعد حين أن البواب لا يزال منها على مقربة ؛ ولأول مرة منذ سكنت هذه الغرفة المفردة ، شعرت أن من الواجب عليها أن تمنح البواب شيئاً ... فعادت حقيبتها الصغيرة ومدت يدها إليه بقروش ... !

وأغلقت بابها وراحت تعيد قراءة الرسالة ؛ ثم رفعتها إلى شفتيها فقبلتها قبلة ، وهمست : نعم ، أحبك لأنك أنت ...

وحتى في خلوتها لم تنس أنها امرأة .. فعادت تقول : نعم ... لأنك أنت تحبني حين لم يذكرني أحد !

ثم طوت الرسالة وأخفتها في صدرها ...

كان «سامي» يعرفها من زمان ، وكانت تعرفه ؛ ورآها ذات ليلة تحدثه في منامه ويحدثها فطمع ... وكان مجمعاً أمره على خطبتها حين جاءه النبأ بأنها سيّيت على رشيد ، فطوى جوانحه على آلامه وسكت ...

وضربت بينهما الأيام فصعدت بها إلى غرفة في السطح ، ورمت به النوى من بلد إلى بلد إلى بلاد ، ثم عاد ليعرف من أمرها ما عرف ... فكتب إليها ...

... وتم أمرهما على ما أرادا وأظلهما سقف واحد ، وابتسمت لها الأيام بعد عبوس !

ومضى عام وجاء عيد الربيع ، وقال لها : أين تريدين يا عزيزتي أن نمضي يوم العيد ؟

وتنشّتها الذكرى فأطرقت وفي قلبها عواطف تصطرع ، ثم رفعت رأسها وقالت وهي تبتسم : أتريد يا سامي ؟ ... إنني أفضل أن نجلس على مقعد خشبي على شاطئ النيل ، في شارع مسبيرو ، ثم نعود ... ...

وضحك سامي دَهِشاً وهو يقول : على مقعد خشبي ؟ في شارع مسبيرو ؟ يا لها فكرة ! بربك لماذا ؟ وأي خاطر ألهمك ؟

قالت وفي عينيها بريق وفي صوتها حنان وفي أعطافها نشوة : تسألني لماذا ... ؟ لأنك أنت هناك ... ! حيث التقينا أول مرة في خطرة فكر وخفقة قلب ، وكنتُ وحدي هناك ولكني كنتُ معك ... !

محمد سعيد العريان



الفرقة القومية تحتفل بمولد الأميرة فوزية

كانت ليلة الثلاثاء الماضي صفحة مجيدة في تاريخ الفرقة القومية، فقد احتفلت فيها بمولد صاحبة السمو الملكي الأميرة فوزية احتفالاً جديراً بمكانتها وكفايتها افتتحه مديرها الأستاذ خليل مطران بك بقصيدة عصماء أنشدها بين يدي المليك، ثم مثلت الفرقة رواية (عبيد الذهب) التي نقلها إلى العربية الأستاذ أحمد الصاوي محمد، فكانت الرواية ببراعة ترجمتها، وطرافة موضوعها، ورشاقة أسلوبها، وقوة إخراجها، وحسن تمثيلها نظاماً متسقاً من الفن والجمال واللذة قلما شهدناه في ماضي الفرقة. والحقيقة التي أثبتتها هذه الحفلة أن الفرقة إذا ساعدها الكتاب بالاختيار الموفق للموضوع، والترجمة اللائقة للرواية، ظهرت براعتها في الإخراج والتمثيل ظهوراً يجذب إليها هوى الجمهور، ويعقل عنها لسان النقد.

فقهاء بيزنطة

قرأت افتتاحية العدد الـ ٣٥٢ للسنة الثامنة من مجلة الرسالة الغراء بعنوان (فقهاء بيزنطة) لحضرة رئيس التحرير الأستاذ الكبير السيد أحمد حسن الزيات. وقد أعجبني نقده رجال الدين لتشاغلهم بصغار الأمور عن معاليها التي جاء الإسلام بها؛ ووصفه الأستاذ بأنه (هو الذي وضع الدساتير الخالدة لسعادة الفرد والأسرة والأمة والإنسانية في كل زمان وفي كل مكان)؛ ولانصراف أهله عن حقيقته ومقصده، وقد لبسوه كما يلبس الفرو مقلوباً. ونقل العلامة أحمد فتحي باشا زغلول في مقدمة كتاب: (الإسلام خواطر وسوانح): أن السيد رشيد منشئ المنار قال في أمثال من ينتقدهم الأستاذ الزيات: (إن الجبر صار عندهم توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكلاً، ومعرفة الحقائق كفراً أو إلحاداً، وإيذاء المخالف في المذهب ديناً، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً، والذلة والمهانة تواضعاً، والخضوع للذل والاستسلام للضيم رضى وتسليماً، والتقليد الأعمى لكل متقدم علماً وإيقاناً)

أعجبني نقد الأستاذ كما أعجبتني شكواه من ضعف النشء في معرفتهم الدينية التي يتلقفونها عمن هم حجب على محاسن الدين ومزاياه الحميدة، وقد شعر السيد الإمام كما شعر حضرة الأستاذ الجليل، حينما اختبر أمثال هؤلاء، وألقيت عليه أسئلة كالتي ألقيت على الأستاذ صاحب (الرسالة) الغراء، وحل السيد رشيد المعضلة التي رجا الأستاذ حلها، وتمنى أن تشرح للناس عبقرية هذا الدين وفلسفة تشريعه ووجوه إصلاحه وأسباب خلوده على ضوء العلم الكاشف، ونظام التأليف الحديث (بالوحي المحمدي) وقد طبع في سنتين ثلاث مرات، واتفق على الشهادة له كبار العلماء والأدباء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم ومختلف أقطارهم. ولو شئت أن أذكر أسماءهم وأنقل جملاً من رسائلهم، لاحتجت إلى صحائف من مجلة الرسالة. على أني أكتفي بأن أورد كلمة من خطاب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى السيد رشيد في وصف كتاب الوحي:

«إنكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة إلى الدين الإسلامي القويم، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية، عرضاً قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة. وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقاً لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون. فجزاكم الله عن الإسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون»

وكلمة للأستاذ محمد لطفي جمعة في كتاب الوحي المحمدي: «وفي الحق أنه كتاب جليل يلفت النظر بما أورده الأستاذ مؤلفه من الأدلة العقلية والحجج النقلية، بوضوح وجلاء، على طريقة حديثة لم تسبق للمؤلفين في المسائل الدينية»

وكلمة للأمير شكيب أرسلان: «... وقد كتب السيد رشيد هذا الكتاب أيضاً لكل من نشأ نشأة أوربية أي خالية من التربية الإسلامية التي يكون الناشئ قد ارتضع فيها مبادئ الإسلام مع لبن أمه فيقال إنها رسخت فيه من الصغر، ولما كان جميع من يقرأون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الإسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة

الأوربيين ولو كانوا مسلمين نسباً . كان هذا الكتاب موجهاً أيضاً إليهم لأنهم فى حكم الأوربيين من جهة فقد التربية الإسلامية أو على ما يقرب من ذلك »

وفى هذا القدر كفاية من شهادة هؤلاء العلماء الأجلاء بأن كتاب الوحى المحمدى هو الحل للمعضلة التى تسألون عن حلها وهو الضالة المنشودة التى تبحثون عنها لتجيبوا سائليكم عن وجود كتاب يبين أن (الإسلام بتوحيده بين الدين والدنيا علاج لأدواء المجتمع ونظام لفوضى الطبيعة وأنه يساير التطور ويطاول الزمن فلا يمكن أن تكون فيه مناقضة للمدنية الصحيحة ولا معارضة للتقدم الحق) وبالله التوفيق .

عبد الرحمن عاصم

معرفة طمى النيل باللاسلكى

يعرض الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى أمام الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التى هو عضو فى مجلس إدارتها بحثاً جديداً يناقش فيه الأهمية العملية فى القطر المصرى لتقدير كميات المواد المعلقة فى مياه النيل أو الترع مدة الفيضان، ومعرفة الحالة التى تتغير بها فى الحيز وفى الزمن . وتتصل هذه المعرفة بموضوع رسوب الطمى فى ترع الرى أو رسوبه أمام خزان أسوان

وسيتكلم عن طريقته الخاصة لمعرفة كمية الطمى وتحليلها من الناحيتين النوعية والكمية بتعيين سرعة ووزن جسيمات الطمى فى الماء بطريقة ضوئية ، كما سيتكلم عن طريقة أخرى استخدم فيها ظاهرة التبادل الضوئى الكهربائى لمعرفة سرعة جسيمات كروية فى سائل أو غيوم كطمى النيل فى الماء ، وهى طريقة يتعين بها كمية الطمى المحمولة بالنيل ودراسة الحالة التى يتوزع بها

وسيبين بعد ذلك امتداداً للبحث الأخير توصل بواسطته إلى طريقة لمعرفة كمية الطمى المحمولة بالماء عن بعد دون الالتجاء إلى استخدام الأسلاك الكهربائية ، بمعنى أنه يتسنى من القاهرة مثلاً تسجيل كمية الطمى المحمول بالنيل فى أى وقت من اليوم وفى أى جزء من النيل مثل المعطرة أو النيل الأزرق أو أمام أسوان

وسيلقى هذا البحث فى يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل الساعة ٦ مساء أمام الجمعية فى كلية العلوم بسراى الزعفران بالعباسية

إلى الأستاذ صديق شيبوب

تحية وإعجاباً ... وبعد :

قرأت قصتكم الممتعة البارعة التى ترجمتموها عن الكاتبة القديرة « سلمى لاجيرلوف » . فأخذتنى روعتها فكرة وأسلوباً؛ ومن ثمَّ جئت أثنى عليك ، مشكوراً منى ومن جمهرة القارئين ، أن تدأب على ترجمة آثار هذه القصصية العالمية القادرة

ولكن حبى لآثارك الروائع ، وحرصى عليها أن تبدو رائعة كاملة ، دفعنى أن أشير لك فى رفق وهون إلى لفظة جاءت فى آخر القصة أعتقد « أنا » أن الأوفق أن تبدل بأنسب منها . رعاية لسياق الكلام ، وانسجام المعانى ، وأمانة لفن القصة

فقد حكيت فى ختام القصة عن شعور الزانية ، وتطهر روحها من دنس رجسها « ... لا تمحى عن بشاعة الخطيئة ، وجال العدل ... » وكان الأنسب أن تقول : « وجال الرحمة » لأن العدل لا يجمل فى نفوس البشر . إذ كانوا أبداً خاطئين

ولست أدعى أنى رأيت الأصل الفرنسى ، ولكنى أرجح وفقاً لذوقى أن تكون الكلمة فى هذا الأصل هى « الرحمة » بدلاً من « العدل »

على أنى أسارع فأقرر أن الرأى لك ، وللأصل الفرنسى ، ولأصله السويدى ... وإنما الأمر خلاف ذوقى فقط ... لا يمس روعة القصة فى قليل أو كثير

وتحياتى لك — أيها الأستاذ — مقرونة بتقديرى وإعجابى

مراد الكرداني

عدد التلاميذ بالمدارس المصرية فى السنة الماضية

يؤخذ من آخر إحصاء رسمى أصدرته وزارة المعارف أن عدد التلاميذ الذين كانوا يتلقون العلم فى السنة الدراسية الماضية (١٩٣٨ — ١٩٣٩) بالمدارس الأميرية غير الأولية بلغ ٧٧٫٠٢٩ طالباً

من هذا العدد ٦٤٫٦٨٢ مسلماً و١٢٢١٩ قبطياً ، ومنه أيضاً ٧٦٫٧٢٩ مصرياً و١٢٨ سودانياً ، وواحد حبشى ، و٩ يمنيون ، واثنان أردنيان ، و١٨ سورياً ، وواحد أرمنى ، واثنان من

الإنجليز، وستة من العراقيين، و٣١ فلسطينياً، و٣٥ من العرب، و٤ من الهنود، وواحد من أهل سيام وخمسة من الأفغان. وستة من أهل جاوا، وواحد ألباني، واثنان اسبانيان، واثنان تركيان و٣ من اليونان، و٣ من طرابلس، وواحد إيطالي و٧ من حضرموت، و١٦ صراكشياً، و٣ من زنجبار، وواحد صيني، وواحد من الجزائر، وخمسة من إيران، و٦ من الفرنسيين

ويؤخذ من الإحصاء المتقدم ذكره، أن عدد التلاميذ الذين يتلقون العلم بالمدارس الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف ٧٦٫٧٣٦ طالباً وأن عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الأولية والمكاتب العامة مليون و ١١٩٫٤٧١ تلميذاً منهم ٦٤٠٫٧٩٠ بنين، ٤٧٨٫٦٨١ بنات

الجندي المجهول

سيدي الأستاذ الزيات:

شغلتني شواغل جمة عن الاطلاع على مجلة الرسالة (العدد ٣٥٤) في الموعد المعتاد فلم أطلع عليها إلا اليوم، ولما وصلت إلى ما نقلتموه عن مجلة العصبة البرازيلية وجدت به خطأ أردت أن أنبه إليه إذ قالت في حديثها عن الجندي المجهول إن فكرته نشأت في فرنسا والحقيقة أنها نشأت في مخ قس انجليزي سنة ١٩١٦. وفي أغسطس سنة ١٩٢٠ تحدث بها إلى رئيسه الذي نقلها بدوره إلى رئيس الأساقفة، ونفذت الفكرة وأحضر الجندي واحتفل به في نوفبر سنة ١٩٢٠. أما طريقة إحضاره فلها قصة طريفة قد تقرأها يوماً في الرسالة إن شاء الله

هذا ما عن لي، وإني لشاكر لكم فضلكم لإفساح صدركم لكلمات القراء المتواضعة.

محمد فخري ميرزا

كياني أو لساني؟

سيدي الأستاذ الكبير مدير الرسالة

قرأت ما كتبه الأديب الفاضل عبد العليم عيسى عن «ليالي الملاح التائه» للأستاذ الشاعر علي محمود طه فأعجبني منه أنه كان بعيداً عن الغرض والهوى، صريحاً بارعاً في حكمه على شعر الشاعر ومنزلته بين شعرائنا المعاصرين. غير أني أخالفه في أن لفظة «كياني» أرق من لفظة «لساني» في البيت:

قلت والنشوة تسري في لساني ... هاجت الذكرى فأين الهرمان

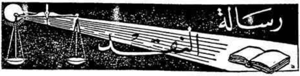
فهي في موضعها أدق وأبرع بكثير من الأولى، فضلاً عن أنها لفظة شعرية خفيفة موسيقية. أما قوله: إنه لا يتصور تلك النشوة التي تسري في اللسان. فهو دليل على أنه ليس من أرباب الكاس والطاس. وقديماً قال الشاعر العربي حسان بن ثابت:

كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة أرخاهما للمفصل

وفسر المرى المفصل باللسان، وهكذا ذكر اللسان والقاموس

حامد القوصي

مدرس بالقاهرة



في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

للأستاذ عبد القادر المغربي

ص ٣ س ٣ قوله : (وتفوهت بأخبار من نبغ من أهلها) أي أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى (تفوهت) نطقت . ولا يقال في مثل هذا المقام (نطقت) وإنما يقال (نوّهت) ففي كتب اللغة : نوّه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظّمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح النابغين من كل دولة ويشيد بذكرهم .

ص ٣ س ٩ قوله : (ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها) فعل التعريج يتعدى بعلى لا بالباء . ففي التاج (التعريج على الشيء الإقامة عليه ، وفي الحديث : فلم أعرج أي لم أقم ولم أحتبس) فالمعنى في عبارة المؤلف إنني لم أحبس قلمي على شيء إلا على الإشارة إليها ، ولم نجدهم ذكروا أن فعل التعريج يتعدى بالباء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : (ففتحها) صوابه (ففتحهما) إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعي

ص ٢٥ س ١٤ لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال المؤلف : (ونادى إلى ذات اليمين وهو يقول . أنا أول من يشهد لك بالتوحيد. الخ) فقوله (ونادى إلى ذات اليمين) صوابه : (وأوى إلى ذات اليمين . أي مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى : (إذ أوى الفتية إلى الكهف) (أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) وفي انحيازه صلى الله عليه وسلم إلى جهة اليمين إشارة إلى أنه من أهل الميمنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطرا إلى قضاء الحاجة فبكيا (ثم أمرهما الله أن يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء) يعني أنه علمهما آداب الاستنجاء في الإسلام ، كما علمهما الوضوء فتوضآ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هي الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقوله (ثم يغتسلا بالماء) صوابه (ثم يغسلا) أي محل النجو بالماء بعد أن يكونا مسحاه بالمدر أي بالتراب

ص ٦١ س ١ قوله : (وإن شئت بقاء سبع نوايات من تمر) يسأل الملك لقمان إذا كان يريد أن يبقى في الحياة الدنيا بقاء سبع نويات تمر . والنويات جمع نواة فقوله (نوايات) بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : (فقال فتى منهم حَدَث السن) خطأ صوابه (حديث السن) وعبارة المصباح (يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين) أي من دون إضافة حدث إلى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمرَ الله الرياح الأربع (فضمّت ما كان لأهل الرسّ من متاع الخ) هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقمّاً لا ضمّاً ، فصواب (فضمّت) : (فقمّت) ، يقال : قمّ البيت قمّاً كنسه . والقُمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرسّ يعبدون شجرة صنوبر يقال لها (ساب درحب) ، وقوله (درحب) كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه : (درخت) بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر ، وهي كلمة فارسية معناها الشجر ، ومنه الشجر المسمى (أزدرخت) ، وأصله بالفارسية (آزاد درخت) ويحرفه عوام الشام إلى (زنزلخت) و (زلزلخت) واسمه بالعربية (قيقب) و (قيقبان) ومما يحسن ذكره أن شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها (ساب درخت) كلمة (ساب) فيها تذكرنا بكلمة Sapin الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا ترى ؟

ص ٩٣ س ٢ : (كان يافث غرس شجرة الصنوبر المذكورة

على شفير عين يقال لها (دوسات) . وكلمة (دوسات) كتبت بسين مهملة وتاء مثناة في الآخر . وصوابها (دوشاب) بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » : (الدوشاب نبيذ التمر معرب . وذكرت كلمة الدوشاب في شعر لابن المعتز ، وكذا في شعر لابن الرومي ، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود . وقال السمعاني الدوشاب هو الدبس بالعربية . اهـ قول الخفاجي . وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن (الدوشاب) في لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى أن (الشيرا) لفظة تركية معناها عصير العنب الذي اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسمى بالعربية (مسطار) بضم الميم أو كسرها . وقد اختلفوا في أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل أن (الدوشاب) شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التي غرس يافث عليها شجرة الصنوبر المساة (ساب درخت)

ص ٩٦ س ١٩ : (وهو الذي أنشأ كوثاربا من أرض العراق) . قوله (كوثا) كذا بالألف ، وصوابه (كوثى) بالياء المقصورة لأن (كوثى ربا) ليس كلمة واحدة بل كلمتان : (كوثى) مضافة إلى (ربا) قال صاحب كتاب « مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع : (وكوثى بالعراق في موضعين (كوثى الطريق) و (كوثى ربا) وبهـا مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قريتان الخ . وقد كتبت (كوثى) بالياء المقصورة في آخرها . وفي القاموس وشرحه (وكوثى بلدة بالعراق وتسمى (كوثى الطريق) و (كوثى ربا) من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح في النار) اهـ . وقد كتبت (كوثى) بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها في هذه الصفحة وص ٩٨ وص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : (وبينما إبراهيم قاعداً) كذا بالنصب وصوابه (قاعد) بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً في أول ص ١٦٩ إذ قال ثم : (فبينما هو مشتغلٌ بالذكر)

ص ١٠٨ س ١٠ : (وأدخل — أي إبراهيم الخليل — المضيق تحت الأرض) صوابه : (المطبق) . قال في مستدرك التاج : (المطبق كمحسن سجن تحت الأرض) ويؤيد هذا ما جاء في الصفحة نفسها س ١٥ : (وكان إبراهيم يسلي أهل السجن)

ص ١١٢ س ١ : (فأمر بالتنور فأُسجر فطُرح إبراهيم فيه) قوله : (فأسجر) مصدره الأسجار . ولم أعثر عليه في كتب اللغة وإنما هو ثلاثي سجره سجراً ، ومن التفعيل سجَّره تسجيراً . ولا دخل للناسخ في هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف في غالب الظن

ص ١١٥ في السطر الرابع وسطور أخرى تلته ورد اسم (سارة) زوجة إبراهيم الخليل مشدّد الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها « أميرة » كما في قاموس الكتاب المقدس . وقد نهجت دائرة المعارف البستانية إلى تخفيف راء (سارة) مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع على الألسنة في بلاد المشرق حتى إن معاجم اللغة العربية لم تشر في مادة (سرور) إلى أن (سارة) زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربياً بل سكتت عن ذلك . ولعل في سكوتها ما يشعر بأن اسم (سارة) ليس من مادة السرور العربية . وعندي أن هذا هو الصواب إذ لا يعقل أن (ماحور) العبراني والد سارة يسميها باسم عربي في معناه عربي في اشتقاقه ، اللهم إلا إذا ادعى مدع بأن اسم (سارة) المخفف نقله العرب إلى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه في قوالبها فشددوا راءه . وروى صاحب القاموس عن اللحياني (امرأة سرَّة وسارّة تسرّك) وسمعت فتى يذكر أختاً له فسماها (سارّة) وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدي هو الذي سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشدداً قلت : لا كلام إذن وكأن جدك يعتقد أن اسم (سارة) عربي مادة واشتقاقاً . أما إذا كنا نتحدث عن السيدة (سارة) العبرانية فيحسن أن نلفظ اسمها مخففاً كما سماها أبوها (ماحور) .

ص ١٢٥ س ٢٠ (ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تُشْعل) ضبط فعل (تشعل) بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شَعَل النار وأشعلها إذا ألهبها . ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه (تشغل) بالغين المعجمة من الشغل والاشتغال ، والمعنى أن امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان ، خرجت في الليل وبيدها السراج توهم زوجها الذي استكتمها الخبر أنها مشغولة بأمور المنزل كتفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف . على أنه يصح أن تكون (تشعل) من إشعال النار لكن يكون صوابه (تشعله) بضمير النصب والبناء للمعلوم أي توهم زوجها أنها تريد أن تشعل السراج وتوقده

لتستفيء في خدمة بيتها ثم انسلت إلى فساق قومها

ص١٢٧ س٧ قوله : (حتى بلغ بها إلى البحر) صوابه (بلغ بها البحر) من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف لعدم ما يدعو إليه من نكت البلاغة التي تزيد في إيضاح المعنى أو تأكيده أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطلاً

ص ١٣٢ س ١٠ (غيابات الجب) كذا بتاء طويلة أو مجرورة وصوابه (غيابة) بتاء مربوطة كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف (غيابت) إتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٩ س ٧ (وقيل إن النساء خلون به ليعدّلنه لها) يعني أن نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل (يعدلنه) بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله إذا أقامه وسواه . فالنسوة بذلن جهدهن في تعديل يوسف وتقويمه لأجل امرأة العزيز ولأجل أن يواتيها على ما تريد منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ، وإنما المقام مقام حب وجفاء ، ونسوة أقمن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب والأليق بالمقام أن تكون (يعذلنه) بالذال المعجمة من العذل الثلاثي (أو التعذيل المزيد على الثلاثي للمبالغة) على معنى أن النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها

ص ١٥٤ س ١٤ قوله : (تيناك) صوابه (أتيناك) وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية (لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة المراضع) (حلبة) كذا بالباء الموحدة ، والحلبة خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه (حلية المراضع) بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيأته . فآسية لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

٢١٣ ص ٨ س : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج (لهم نحيب بالتسبيح والتقديس) النحيب البكاء أو أشده أي أنهم كانوا يبكون بسبب تسبيحهم لله. وهو ظاهر، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام أن تكون (نحيب) مصحفة عن (نحيت) بتاء مثناه في آخرها وهو اللهث وشدة تتابع النفس أي أن هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البُهر وهو انقطاع النفس

٢٢٠ ص ٨ س : في صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم (يُصَفَّون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة) وقد ضُبط فعل (يُصفون) بضم ياء المضارعة مجهولاً أي أنهم قد صفّهم صافّ . والأفصح أن يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفّهم فصَفّوا أي اصطفوا . فهو لازم متعد . ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً (والصافات صفاً) أي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها . وفعل الصف إذا أسند إلى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند وصفّت الملائكة وإلا استعمل مجهولاً : صُفّت النمارق (ونمارق مصفوفة) صُفّت السُّرر (على سُرر مصفوفة)

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : (لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر) . قوله (إلا من الحساب) محرّف ، وصوابه (إلا مَرَّ الحُسْبان) والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسال . يعني أن أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كمرور السهام . ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفاذ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) وزاد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده : (مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر) فلا جرم إن الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص إلى الجهة المقابلة من دون أن يمكث في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها . وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو . وكتبت (مثل ما) هكذا مفصولة . ولعل الصواب أن تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : (فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول) قوله (فحملوه) لعل صوابه (فحملوهما) أي حملوا كلا من الخضر وموسى وإن كانوا لم يعرفوا إلا الخضر . ويشهد لما قلنا قوله بعد : (فلما ركبا في السفينة) بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٢ (لولا بنو إسرائيل لم يختر الطعام ولم يخبث اللحم) قوله : (يختر) بالثاء المثلثة أي يغلظ بعد أن كان مائعاً . ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما صوابه (يخنز) بنون

وزاى: خنز اللحم والجوز والتمر نسد وأنتن ، أى أن الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى. ويدل على صحة ما قلنا قوله بعده : (ولم يخبث اللحم) فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب أن يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هي خنوزه، ونتنه أما خثوره أى غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على أن الطعام لا ينسب إليه الخثور وإنما الخثور للبن: يقال خثر اللبن خثراً وخثوراً وخثراناً فلظ واشتد بعد أن كان رقيقاً مائعاً

ص ٢٥٩ س ٢٠ (تقول العرب فوموا لنا أى اختبزوا) ضبط فعل (فوموا) بالتخفيف أى بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا. وصوابه (فَوِّموا) بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك فى اللسان والتاج قالا: (يقولون فَوِّموا لنا بالتشديد يريدون اختبزوا)

ص ٢٧٠ س ١٠ و س ١٥ و س ١٦ زمرى بن شلوم تزوج كستي بنت صور مرغماً الشريعة التوراة ، فغضب موسى وأصيب بنو إسرائل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل فنحاص العيزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظمهما وخرج بهما إلى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد برفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحيته فرفع الطاعون، قال: ومن أجل ذلك يعطى اليهود ذرية فنحاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا يخفى أن اللحية هى الشعر النابت على الذقن أى عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن أن يكون نقطة ارتكاز لحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل إن عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة إلى « لبته » ، وكذا فى السطرين الآخرين « اللبة » مكان « اللحية » ولبته مكان لحيته واللبة على الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هى الزوْر وهو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين . وما زلنا فى المواسم ومواكب المحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها إلى لباتهم أى أعلا صدورهم لا إلى لحاهم ولا إلى ذقونهم، على أن الذبائح التى يُعطى منها أولاد فنحاص لا يُعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية، ولا لحى للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لباتها وأزوارها

ص ٢٧٠ : فى آخر هذه الصفحة يحكى خبر (بلعام) وقد قدم على بنى إسرائيل راكباً أتانه قال (فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضربها بلعام الخ) معنى (قامت به) وقفت به قال صاحب القاموس (قامت الدابة وقفت عن السير) فقوله : (وقد وقفت) بعد قوله : (قامت به) مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به (وقفت به الأتان وقد وقفت) وهو تكرار . فلعل قوله : (وقد وقفت) مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله : (قامت به) فألحقها الناسخ بها فى المتن أو هى مما جاء فى صلب المتن تفسيراً لقامت، ويكون أصل الجملة هكذا (قامت به الأتان أى وقفت) فحرف الناسخ كلمة (أى) التفسيرية إلى كلمة (وقد) التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهر البطلان

ص ٢٧١ س ٥ : (قال موسى يا رب بما سمعت دعاء بلعام على فاسمع دعائى عليه) قوله (بما سمعت) لعل صوابه (كما سمعت) أى اسمع دعائى كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن (بما) لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

(دمشق) عبد الله المغربي

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ــ عابدين }